أبو بَكرالكُتنْدي الأندلسي

(٥١٣ – ٥٨٤)

حياتُه وأَدَبُه ومَجْمُوع شعره

د. محمّد رضوان الدَّايَة

(القسم الأول)

حياتُه وأَدَبُه

[١]

في شعراء الأندلس في القرن السادس الهجري شاعر كان له ديوان شعر مَرْوِيٌّ متداول، وكان واحدًا من ثلّة من الشعراء وأهل الأدب يحرّكون الإبداع الشعريّ، ويواصلون إضفاء الحياة والحيويّة على حركة الشعر في شرقيِّ الأندلس، وصولاً إلى غَرْناطة جنوبًا؛ والشّاعر المشار إليه هو: أبو بكر الكُتندي[١].

وعاصَر الكُتندي في حياته في القَرْن السّادس (٥١٣– ٥٨٤) ثلاث مراحل سياسية في الأندلس، كانت لها آثار ثقافيّة واجتماعيّة واقتصاديّة؛ وهي:

١– أواخر مدّة دولة المرابطين، ومَن كان يدعو بدعوتهم بعد اضطراب أحوالهم،

٢– ومدّة ظهور المتوثِّبين[٢]، في عدد من المدنِ والمناطقِ للأخذ بنصيب من

(١) فيما يأتي من صفحات البحث (القسم الأول) كلام على ضبط اسم هذه البلدة التي ينتسب إليها الشاعر الأندلسي: أبو بكر الكتندي. تُنظر الصفحات ٦٩٩– ٧٠٥.

(٢) يُنظر مثلاً ما أورده لسان الدين بن الخطيب تحت عنوان «ذكر مَنْ كان في أُخريات دولة المرابطين اللمتونيّين من الملوك والرؤساء والثوار» من كتابه أعمال الأعلام: (٢٤٨) ومابعدها.

تركة المرابطين في الأندلس؛ وهي مدّة مضطربة أبرزت عددًا من الطامحين، والطامعين من مشارب شتّى. ولم تكن مصلحة «الوطن» كما نقول اليوم هاجسهم، ولا دافعهم إلى الثورة والانقلاب،

٣- ومدّة سيطرة دولة بني عبد المؤمن (عُرفت بدولة الموحِّدين) التي ورثت دولة المرَابطين.

ومعلومٌ أنّ الأندلس كوّنت مع المغرب دولة واحدةً منذ أنْ عزَم يوسف ابن تاشفين أمير المسلمين على التخلّص من ملوك الطوائف ابتداءً من سنة ٤٨٤هـ. وكان أوّل الذين خسروا «ملكهم» المعتمد بن عَبّاد صاحب دويلة إشبيلية، وتبعه في ذلك معظم «ملوك» الطوائف. واستبقى أمير المرابطين بني هُود في منطقة سَرَقُسْطةَ رجاءَ أن يكونوا عونًا على دَرْءِ هجمات «قشتالة» وسواها من القوى المعادية[٣].

ولم يَطُلْ عُمرُ دولة المرَابطين، وكان أوَّلهم يوسف بن تاشفين الذي تلقّب بلقب أمير المسلمين (متحاشِيًا التلقّبَ بأمير المؤمنين الذي كان يَشْغَلُه خليفةُ بغداد) وقد توفي سنة ٥٠٠هجرية. وخَلَفَهُ ابنهُ أبو الحسن عليّ إلى سنة ٥٣٧، وجاءَ بعد ابنه تاشفين الذي انتهى حُكمه بعد نحو سنتين ٥٣٩ بظهور الموحِّدين، وتغلّبهم على المغرب (بحدوده آنذاك) وعلى الأندلس.

وكان انتقاضُ دولة المرَابطين قد بَدأ في عُقْرِ دارِهم من المغرب، ثم انتقل إلى الأندلس. ولكنّ القُطْر الأندلسيّ لم ينتظر طويلاً بعد سنة ٥٣٩؛ فقد ظهرت مجموعةٌ من المتوثّبين: أكثرَهُمْ من القُضاة، وبعضُهم من أهلِ القلم: الكُتّاب والأدباء؛ وبعضهم من المغَامِرين. وهكذا اضطربت البلادُ بهؤلاء «الثائرين». قال الأستاذ عنان: «كان من الطبّيعي أن تنشب بين المرابطين والموحِّدين وهم سادةُ

(٣) يُنظر مثلاً: دولة الإسلام في الأندلس – عصر المرابطين والموحّدين: (١- ٢).

الأندلس الجُدد المعركةُ التي تُغَذّيها عواملُ مختلفةٌ؛ هي مِحنة الأندلس الحقيقيّة، وكانت تتجدّد من خلالها صُوَر المعارك الانتحارية التي أثخنت الأندلس أيامَ الطوائف بجراحها الدّامية... على أَنَّ الثّورة على سُلطان المرابطين في الأندلس لم تضطرم إلاّ في أَواخِر عَهدهم في شِبه الجزيرة في الوقت نفسه الذي اضطرم فيه المغرب بثورةِ (حركة) الموحِّدين الجارفة. وتَضعضَع سلطانُ المرَابطين في عُقر دولتهم، وتعذّر عليهم إرسال الإمداد إلى ما وراء البحر...»[٤].

وهكذا نشأت مُدَّةٌ في الأندلس بين الانقضاض على السُّلطة المرابطية وبين تثبيت السُّلطة الموحِّدية هي أشبهُ بمدّة دُوَل الطّوائف في القرن الخامس؛ ما بين نهاية السُّلطة الأُموية وبين بَسط يوسف بن تاشفين سلطة المرابطين في الأندلس.

ونتجَ عن هذه الفوضى العارمة — بظهور هؤلاء المتوثّبين — نتائج خَطيرة من تكالُب العدوّ على الأندلس واقتطاعه أجزاءً بَعْدَ أَجزاء من الأرض التي كان يَصْعُبُ استردادُها، أَو يَقِلُّ احتمالُ استردادِها مَرَّةً أُخرى.

وفي أخبار أبي بكر الكُتندي أنّه عمل كاتبًا لبعض وُلاة مالَقَة[٥]، التي كان كثير الإقامة فيها والتردّد عليها. ولم تذكر كُتُبُ التَّراجم اسم الوالي أو «صاحب المركز» الذي كتَب له. فقد كانت الأيدي كثيرة، وكانت الفتنة واسعة، وكان المتوثّبون كُثرًا. كأنَّ الحُكْمَ أو التحكم صارَ هوايةً من الهِوايات، أو صَنْعةً من الصَّنائع يَطلُبها من يَستطيعُ ومن لا يَستطيع. وكان ولاةُ الموحدين كُثرًا أيضًا.

وحين كانت الأندلسُ دولةً وولاياتٍ في حاجة إلى الحاكم الخبير الحازم والمحارب للعَدُوّ المتمكّن البارع كان قادةُ «الثّورة» على المرابطين — في معظمهم —

(٤) المرجع السّابق (١/ ٢٧، ٢٨).

(٥) أعلام مالقة (١٠٦).

من القُضاة وأَربابِ القَلم: ففي قُرْطُبَةَ وجَيّانَ وغَرْناطةَ ومالَقَةَ ومُرْسِيَةَ وبَلَنْسِيَةَ وغيرها كانوا من القضاة، والفقهاء والأدباء والشّعراء: من أعلام التّفكير[٦]، في ذلك العصر. وقد أثبتت الأحداثُ المتلاحقةُ عَجْزَهم جميعًا عن أن يكُونوا سياسِيّن قادرين، أو يكونوا قادةً ناجحين، بل إنّهم في جُملتهم لم يَنْصَحُوا الأُمَّة، ولم يَصُونوا حِمَاها.

ومن «الثوّار» في وسَط الأَندلس وجَنُوبيِّها: ابنُ حَمْدِين بِقُرْطُبة، وابنُ أَضْحى بِغَرْناطة، وابنُ حَسُّون بمالَقَة، وابن مِلْحان في وادي آش. وكان أكبر الثائرين في شرقيِّ الأندلس محمّد بن سَعد بن مَرْدَنيش، وقام في جَيّان ابنُ جُزَيّ: كما قام في قادِس عليّ بن عيسى بن ميمون، وفي بَطَلْيَوس محمّد بن علي الحجّام... وفي بَلَنْسِيَة (ثم شاطِبَة ولَقَنْت) ابنُ عبد العزيز، وفي مُرْسِية ابنُ رشيق، وابن أبي جَعْفر، وفي أُوْرْيُوْلَة أحمد بن عاصم...

وضَمَّ الموَحّدون هذا الشتات طَوْعًا وكرْهًا، وقال لسان الدين بن الخطيب في وصف الحال: «وقد كانت أيدي هذه الدّولة المؤمنيّة – دولة الموحِّدين – نَقّت الأَرْضَ من عُشْبِ الثّوارِ فلم تَترُك عَيْنًا إلا صَيرته أَثَرًا...»[٧].

[٢]

قدّمت تراجم الكتندي معلومات محدودة عن شخصيّته، وعن تنقلّه في البلاد الأندلسية، وأعماله التي مارَسها، وقدّمت لنا أسماء عدد كبير من شيوخه وأصحابه وتلامذته. وأفصحت عن ثقافته ووجوه نشاطه الأدبي شعرًا ونثرًا.

(٦) عصر المرابطين والموحدين (١/ ٣١٨)؛ والعبارة له.

(٧) أعمال الأعمال (٢٧٠).

ومن هذه التراجم واحدة لصاحب كتاب المطرب، أبي الخطّاب عمر بن حسين بن دحية المتوفى ٦٣٣؛ فقد عاصره، ولقيه، وأخذ عنه، وروى بعض شعره، وأثنى عليه ثناء كبيرًا، وفي هذه الترجمة:«لقيتُ بمدينة غرناطة الوزير الأجَلّ أبا بكر محمّد بن أبي العافية الأزدي القُتندي الأصل الأغرناطي المنشأ، وكان من بقايا الأدباء وفحول الشعراء، ورواة الحديث عن العلماء»[٨]. وذكر من أساتذته عددًا ثم قال: «وله شعر كثير وأدب غزير» [٩].

وقد عَيَّنَ ابن دحية[١٠] تاريخ ولادة الكتندي بسنة ثلاث عشرة وخمسمئة[١١]، وعَيَّن تاريخ وفاتِه بسنة ٥٨٤ أربع وثمانين وخمسمئة، وتردّد أكثر الذين ترجموا له في وفاته بين ٥٨٣ و ٥٨٤.

وقد رَجَّحْتُ التّاريخين اللّذين حدَّدهما ابنُ دِحْيَة: لمعرفته به وتلَقّيه عنه، وقد قال: «سَمِعْتُ منه، وأجاز لي ولأَخي أبي عمرو جميع ما رواه ونثَرَه، ونظمه» وذكر من أَساتذته، وأَصحابه، وتلاميذه.

ولنا أن نُقَدِّرَ — تقديرَ الظَّنّ — أنّ أسرة الكُتندي غادرت بَلْدة كُتَنْدة، عند احتدام الصّراع الأندلسي المرابطي مع قوّات العَدُوّ المتكالبة، ولا نعرف المدينةَ التي استقرّت فيها الأُسرة، لكنّنا نَستشفّ من أخبار الشّاعر أنه أكثر الإقامة في

(٨) يُقال فيها: غرناطة وأغرناطة.

(٩) المطرب لابن دِحية (٨١- ٨٢).

(١٠) المطرب (٨٢).

(١١) في بغية الوعاة (١/ ١٥٥) أنه «ولد سنة ستّ وخمسين وخمسمئة» هكذا. وفي العبارة خطأ من المؤلّف أو الناسخ أو الطابع. وقرأ الدكتور عمر فرّوخ التاريخ هكذا: «ولد سنة ٥٠٦» ولم أجد هذا الرقم عند غيره.

مالَقَة[١٢]، وفي غَرْنَاطة. ومن هنا ترجم له صاحبُ (أُدَباء مالقة) في كتابه، وتَرْجَم له صَفوان بن إدريس في كتابه (زاد المسافر) وسَجَّلَ إلى جانب اسمه أَنّه: غَرْناطيّ؛ فهو معدودٌ – إذن – في أهلِ غَرْناطة[١٣]، وسكن المَنَكّبَ[١٤] أيضًا.

(١٢) مالقة (Malaga) مدينة على البحر المتوسط، جنوبي الأندلس، وهي اليوم حاضرة ولاية بهذ الاسم. وكانت مدينة زراعية، وصناعية، وكانت ذات أهمية من الناحية التجارية: البحرية، والعسكرية؛ واشتهرت بصناعة الخزف المالقي، وبالتّين الجيّد الذي كان يُصَدّر إلى أنحاء بعيدة في العالم القديم. وكانت مالقة أيام دولة غرناطة ذات أهمية عظيمة حربيًّا واقتصاديًّا، وقد سقطت مالقة سنة ٨٩٢ قبل غرناطة بنحو سبعة أعوام.

ومن الطرائف والحقائق أنّ الأدوات الخزفية ماتزال تسمّى في بلا الشام، وخصوصًا في دمشق والغوطتين باسم (المالقي). وحدّثني زميل من تونس أنهم يقولون عن الخزف: (المالقي) أيضًا.

يُنظر: الرّوض المِعطار: (٥١٧) ومُعجم البلدان (٥/ ٤٣)، والآثار الأندلسية الباقية (٢٤٢)، ورحلة الأندلس (٢٥٢)، وآخر أيام غرناطة: (٥٣) .

– ويُنظر للإطراف، ولإظهار الصلة بين الأندلس والمشرق عامة والشام خاصة مادّة (المالقي) في بعض كتبي من سلسلة الموسوعة الشامية مثل: معجم الأمثال العامية الشامية، ومعجم المآكل الشامية – وتُراجع الفهارس.

(١٣) مدينة كبيرة من مدن جنوبي الأندلس، برزت في أواخر القرن الرابع وحلّت محل= =مدينة إلبيرة، وصارت إحدى حواضر الأندلس سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا. وحين انهارت الأندلس الكبرى أواخر حكم الموحدين اتخذ محمد بن الأحمر غرناطة عاصمة للدولة التي عُرفت بدولة (مملكة) غرناطة، ودولة بني نصر (أو بني الأحمر): من ٦٣٥ إلى ٧٩٨ وكانت آخر مدن الأندلس سقوطًا.

ويُقال فيها غَرْناطة وأغرناطة Granada ومعناها الرمّانة. وما يزالُ شعارُ المدينة هو: ثمرة الرمان.

وكانت غرناطة – وما تزال – مثل معظم المدن الأندلسية مجالاً لأقوال الشعراء وذكرياتهم.

(الروض المعطار: (٤٥) ومُعجم البلدان (٤/ ١٥) ونُزهة المشْتاق (٢٩٧) وآثار البلاد (٥٤٧)

[٣]

في تلخيصٍ مُكَثف أفادنا ابن عبد الملك في الذَّيل والتكملة[١٥] بحركة الكُتندي وتنقّله في عددٍ من المدن الأَندلسيّة، وقال فيه:

«محمّد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن خليفة بن أبي العافية الأَزديّ[١٦]: غَرْناطي، كتنديّ الأصل، سكن مُرْسِيَة[١٧]، ومالقة كثيرًا، ثُمّ غَرْناطة والمنكَّب».

والآثار الأندلسية الباقية: (١٦٠) ورحلة الأندلس (١٥٨) وآخر أيام غرناطة: مواضع متفرقة).

(١٤) المنكّب، هي اليوم Al muñecar (ومعناه في أصله العربي: الحصن المرتفع) مرسى على البحر المتَوسّط جنوبي ولاية غرناطة، وراء المرسى مدينة وصفتها المراجع الإسلامية بأنها «حسنة متوسّطة، كثيرة مصايد السّمك وبها فواكه جمّة» وقال الأستاذ عنان في وصف المدينة حين زارها قبل نحو أربعة عقود خلت إن هذا الوصف لمدينة المنكب ينطبق عليها اليوم فهي مدينة جميلة متوسطة...، ثم قال: وقد رأينا حين طوافنا بالمدينة نخلاً مثمرًا في هذا الوقت من الشتاء.

– وكانت المنكّب أولّ بلدة أندلسية استقبلت عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) الذي أعاد الدولة الأموية في الأندلس (سنة١٣٨). وأُقيم بالمدينة تمثال كبير لعبد الرحمن تخليدًا لذكراه وأقيم لذلك ندوة حافلة في دمشق وأُقيم تمثال مصغّر من ذلك الأندلسي، في إحدى ساحات دمشق تكريمًا لهذه الشخصية العبقرية.

الروض المعطار (٥٤٨) ومعجم البلدان (٥/ ٢١٦)، ومشاهدات لسان الدين بن الخطيب (٧٩)، والآثار الأندلسية الباقية (٢٥٨)، ونهاية الأندلس للأستاذ عنان: (٥١٠) وآخر أيام غرناطة: (٦٤).

(١٥) الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (٦/ ٣٤٩ – ٣٥٠).

(١٦) سَأُورد مصادر ترجمته بعد قليل. والأزدي نسبة إلى الأزد من عرب اليمن.

(١٧) مدينة مُرسِيَة من بناء الأُمويّين في الأندلس بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم (يُعرف بعبد الرحمن الثاني – الأوسط) سنة ٢١٦ واتّخذت «دار العمال وقرار القوّاد». وهي على

وتَنَقَّلَ أَبُو بكر الكُتندي في عددٍ من مُدن الأندلس: تبعًا لظروف أعماله التي مارسَها، ووجوه نشاطه التي اشتهر بها من الكتابة الديوانية، والمهام التعليميّة، وغير ذلك ممّا أتقنه وبرع فيه. وهكذا نُسِبَ أبو بكر إلى كُتَنْدَة التي ترجع أُصول أسرته إليها، وإلى غرناطة، وإلى مالقة.

وكُتَنْدة بلدة صغيرة ذكرها الجغرافيّون لوقوعها في مفترق طرق القوافل، ثم اشتهرت بعد وقعة حربية بين المرابطين والأندلسييّن من جهة وقوات الشمال المتحالفة من جهة ثانية، عُرفت باسم هذ البلدة كُتَنْدَة: Cutanda(١٨).

نهر كبير، وفيها الأشجار المثمرة الكثيرة، وسائر أنواع الزراعة، وبجبالها معدن الفضة، واشتهرت بصناعة البسط الراقية. وذكر في الروض المعطار استعمال أهلها للدّواليب والسّواني رفع الماء. وقد رأيت في أرباضها ومزارعها نواعير كتلك التي كانت في غوطة دمشق (سقى الله أيّام غوطة دمشق وأيام العرب في الأندلس!) وكنتُ مررت بها سنة ١٩٧٦ مُصْعِدًا من جنوبي الأندلس إلى شماليِّها الشرقيّ.

– والدواليب التي ذكرها الحميري في الروض المعطار هي النّواعير تديرها بعض الحيوانات القوية.

– سقطت مُرسية سنة ٦٤١ (١٢٤٣). وما تزال فيها آثار عربيّة وإسلامية.

– وسجّل أ. عنان رحمه الله في «الآثار الأندلسية الباقية» كثرة النخيل فيها على غرار ماكانت عليه أيام الحكم الإسلامي، وقال: «في مرسية طائفة من الجَنَّانين (البُستانييّن والحدائقييّن) لها عاداتٌ وأغانٍ خاصّة» ص٢٥٨.

(١٨) وقعت المعركة في ظاهر بلدة كتندة cutanda في الرابع والعشرين من ربيع الأول ٥١٤هـ (أو ربيع الآخر) الموافق حزيران (أو تموز) ١١٢٠م.

– قاد الجيش المعادي ألفونسو الملقب بالمحارب، وقاد القوّات المرابطيّة الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، وكانت النتيجة هزيمة منكرة للقوات المرابطية وسقوط مواقع كثيرة. (عصر المرابطين والموحدين – محمد عبد الله عنان – القسم الأول: ١٠٢).

وقد اختلف رَسْمُ اسم المدينة، وضَبْطُهَا بين المصَادر الأندلسيّة والمغربية من جهة والمشرقية من جهة ثانية. فهذه فرصة لاستعراض القول في (كتندة) وضبطها.

[٤]

كتندة:

١ً – ورد ذكر كتندة في كتاب «ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك» لأحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلاّئي[١٩]، وفيه تحت عنوان «أقاليم سَرَقُسْطة»[٢٠]: «إقليم قُتَنْدَة وهو على ستّين ميلاً من مدينة سَرَقُسْطَة» واسم البلدة هكذا: حُروفًا وضبْطًا في الكتاب المذكور.

٢ً – وذكر البَلْدَةَ الشّريف الإدريسي في نُزهة المشتاق[٢١]، حين وصل إلى «ذكر الأندلس ووصف بلادها وطُرقاتها...» وقال[٢٢]:

«ومن مدينة بلنسية إلى سرقسطة تسع مراحل على كتندة، وبين بلنسية وكتندة ثلاثة أيام، ومن كتندة إلى حصن الرّياحين مرحلتان...» إلخ.

– ولم يُضبط اسم كُتندة، ولكنه أوردها بالكاف.

٣ً – ووردت في نص لابن الأبّار ورد في الملحق (٢) من مرويّات ابن

(١٩) نشَر الباقي منه أُستاذنا الدكتور عبد العزيز الأَهْوَاني، رحمه الله، في مدريد تحت عُنوان: «نُصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبُستان في غَرائب البُلدان، والمسالك إلى جميع الممالك» وهو من منشورات معهد الدراسات= = الإسلامية في مدريد (مطبعة معهد الدراسات الإسلامية).

(٢٠) نصوص عن الأندلس، (٢٤– ٢٥).

(٢١) كتاب نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشّريف الإدريسي – عالم الكتب – بيروت.

(٢٢) نُزهة المشتاق (٢/ ٥٥٦).

مغاور[٢٣]، وفيه[٢٤]:

«حُدّثتُ عن أبي محمد بن سفيان حدّثنا أبو عبد الله بن مغاور حدّثنا أبو علي بن سكّرة قراءة عليه وأنا أسمع بشاطبة مَقْدمَهُ علينا غازيًا إلى كُتَنْدَة أخبرنا أبو القاسم بن فهد...».

٤ً – وذكر البلدة المؤرخ الجُغرافيّ الأديب أبو الحسن عليّ بن موسى بن سعيد في كتابه المغرب في حُلى المغرب[٢٥]، في عناوين كتبِ شرقيِّ الأندلس وعند التفصيل فيها، فقال: «كتاب رونق الجِدَّة في حُلى قرية كُتَنْدة» [٢٦]، من قرى مرسية، وترجم لأبي بكر محمد بن عبد الرحمن الكُتندي الذي نترجم له، ونعرِضُ الباقي من شعره.

– والضّبط من الكتاب المذكور.

٥ً – وذكر ابن سعيد: الكُتندي أيضًا في كتابه: رايات المبرّزين[٢٧].

٦ً – وذكر المقري في نفح الطيب[٢٨]، البلدةَ استطرادًا عند ذكر القاضي

(٢٣) ابن مغاور الشاطبي حياته وآثاره – دراسة وتحقيق: محمد بن شريفة – الطبعة الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٤ .

(٢٤) ابن مغاور: ٢٦٤.

(٢٥) المغرب في حلى المغرب – لابن سعيد – حقّقه وعلّق عليه الدكتور شوقي ضيف – طبعة ثانية منقحة – صدر عن دار المعارف بالقاهرة.

(٢٦) يُنظر (٢/ ٢٤٣) و (٢/ ٢٦٣).

(٢٧) رايات المبرّزين وغايات المميّزين لابن سعيد – حققه وعلّق عليه محمد رضوان الداية– دار طلاس – الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

(٢٨) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – لأحمد بن محمد المقَّرِيّ التلمساني – حققه الدكتور إحسان عبّاس – دار صادر – بيروت ١٣٨٨– ١٩٦٨.

الشهيد أبي علي الصّدفي الذي استشهد في الوقعة المشهورة سنة ٥١٤، وعُرِفت باسم كتندة لوقوعها عند تلك البلدة. قال[٢٩]:

«فلمّا كانت وقعة كُتَنْدَة كان ممّن حضَرها فَفُقِدَ فيها سنة أربع عشرة وخمسمئة، رحمه الله تعالى».

– وردت «كُتَنْدَة» بالكاف، مضبوطة هكذا: بضم ففتح.

٧ً –ووردت نسبة الكتندي مضبوطةً ضبطًا تامًّا هكذا الكُتندي في زاد المسَافر[٣٠]، قال: «أَبُو بكر الكُتندي – أَغرناطي» وقد نَبّهت في سياق الكلام على أبي بكر الكتندي على اشتهاره بالنسبة إلى كتندة (فأصْلُه منها) وإلى غرناطة (لطول مكثه فيها).

٨ً – وترجم له ابن الأبّار في التّكملة[٣١] وقال فيه[٣٢]:

«من أهل غرناطة، يُكنى أبا بكر، ويُعرف بالكُتندي لأنّ أصله منها».

٩ً – وترجم له كتاب أعلام مالقة[٣٣]، وقال فيه[٣٤]:

(٢٩) نفح الطيب (٢/ ٩٢).

(٣٠) زاد المسافر وغُرّة محيّا الأدب السَّافر لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المُرْسي – أعدّه وعلّق عليه عبد القادر مِحْداد – دار الرائد العربي – بيروت، ١٩٧٠.

(٣١) التكملة لكتاب الصّلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله (المعروف بابن الأبّار) بعناية عزّة العطار الحسيني – القاهرة ١٣٧٥– ١٩٥٦.

(٣٢) التكملة (٢/ ٥٣٥).

(٣٣) أعلام مالقة لأبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس – تقديم وتخريج وتعليق الدكتور عبد الله المرابط التَّرغي – دار الغرب الإسلامي ودار الأمان – مطابع دار صادر بيروت، ١٤٢٠ – ١٩٩٩.

(٣٤) أعلام مالقة: (١٠٦).

«المعروف بالكُتندي، يُكنى أبا بكر...» إلخ.

١٠ً – وعرّف الدكتور حسين مؤنس بالإمام الصّدفي في الحاشية (٢) من الجزء الثاني من الحلة السّيراء[٣٥]، وذكر استشهاده وقال[٣٦]:

«وقد تُوفّي أبو علي مستشهدًا في وقعة كُتَنْدَة (وتكتب أيضًا قُتَنْدَة)... انتهى.

١١ً – ووردت (كتندة) في كتاب الدكتور حسين مؤنس (تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس) [٣٧] وإلى جانبها: [٣٨] Cutanda.

والبلدة ما تزال قائمة، وتُعرَف بهذا الاسم الذي يُطابق النصّ العربيّ كما اشتهر في آثار الأندلسيين، ومَنْ زارهم.

فالمصادر الأندلسيّة، والمغربيّة ذكرت المدينة على وجهين:

- كُتَنْدَة (بالكاف).
- و قُتَنْدَة (بالقاف).

وضُبطت على وجهي قراءة الحرف الأَوّل هكذا بضم القاف أو الكاف، وفتح التاء.

....

(٣٥) الحلّة السيراء لابن الأبّار – تحقيق د. حسين مؤنس – نشر الشركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٦٣.

(٣٦) الحلة السيراء ٢: ١١٨.

(٣٧) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس – د. حسين مؤنس – مطبعة معهد الدراسات الإسلامية – مدريد ١٣٨٦ – ١٩٦٧.

(٣٨) يُنظر ص (٢٦٢) و (٦٩٤).

المصادر والمراجع المشرقية:

١ً – في معجم البلدان[٣٩]: «قُتُنْدَة بلدة بالأندلس ثغر سرقسطة...» إلخ.

٢ً – وفي مراصد الاطّلاع[٤٠] كلام مماثل.

٣ً – وفي تاج العروس «كتندة، لغة في قتندة بالأندلس» والنص في المطبعة الخيريّة بمصر ١٣٠٧هجرية مُهملٌ من الضبط بالشكل والحُروف.

– وفي تاج العَرُوس (ط الكويت ٩/ ٩٧) مضبوطة بالشكل كُتُنْدَة وقُتُنْدَة، دون الضبط بالحروف. ولم يبيّن في الحاشية الجهة التي اعتمد عليها المحقّق في ضبط الكلمة، وأظنّ المحقق ركنَ إلى ما في معجم البلدان[٤١].

٤ً – وفي سِيَر أعلام النُّبلاء (طبع مؤسسة الرسالة)

– في الجزء ١٩: «قُتَنْدَة» على الرسم الأندلسي.

– وفي الجزء ٢٠ «قُتُنْدَة»، بضمّتين.

٥ً – وفي الكامل في التاريخ (١٠/ ٥٨٦) «كُتندة» بضبط الحرف الأوّل وَحْدَه. (طبعة دار صادر بيروت).

٦ً – ورسمها في بغية الوعاة بالكاف «كتندة» وجاءت مضبوطة بضمّتين:

---

(٣٩) مادّة (كتندة) في المعجم (طبعة دار صادر – بيروت).

(٤٠) مادّة (كتندة) في الكتاب (طبعة مصورة – بيروت ٣ أجزاء).

(٤١) [جاء في تاج العروس / ط الكويت، ج(٩/ ٨) النص الثاني: «وقُتُندة، بضمتين: بلد بالأندلس، وقعته مشهورة، ويُقال فيه بالكاف أيضًا».

وجاء في تاج العروس / ط الكويت ج(٩٧/٩) النص الثاني: «كُتُنْدةُ: لغةٌ في قُتُنْدة، بالأندلس». فقد ذكر صاحب التاج عند إيراده: قتندة، أنها بضمتين، فضبطها بالحروف] / المجلة.

الكُتْندي[٤٢].

٧ً – وفي الوافي بالوفيات[٤٣] ، ورد اسمُ الكتندي الشاعر هكذا:

«أبو بكر الكُتْندي: بضمّ الكاف والتاء ثالث الحروف وسكون النون وكسر الدال المهملة» [٤٤].

ونَخْرُج من هذا كلّه إلى ما يأتي:

١– اسم البلدة: كُتندة بالكاف أو قُتندة بالقاف. وقد ساغ نطقها بالرسمين لأنهما يحكيان الأصل القديم: Cutanda . وهو الرسم الحالي للبلدة أيضًا.

٢– ضبطت المصادر الأَنْدلُسيّة والمغربيّة الكلمة بضم الكاف وفتح التاء. وحقَّق ذلك المحققّون الذين أَخْرَجُوا عَددًا من المصادر الأندلسية والمغربية مثل: د. الأَهواني و د. مؤنس، ود. ضيف، ود. شريفة، ود. إحسان عباس، وابن أبي شنب.

٣– وأكثر الكُتب المشرقيّة على ضَبْط الكلمة بضم الكاف والتاء معًا.

٤– اخْتَرْتُ في هذا البحث، ضَبْطَ الأندلسيّن والمِغاربة، وتابَعْتُ المحققّين الذين نشروا تلك النُّصوص الأندلسيّة بضبطهم: كُتَنْدَة، هكذا.

٥– وأَعُدُّ ضَبْطَ الأَندلسيّن والمغاربة القُدامى، وتحقيق المختصين المعاصرين

(٤٢) بغية الوعاة (١/ ١٥٤).

(٤٣) الوافي بالوفيات (٣/ ٢٣٢).

(٤٤) كان الصفدي في الوافي بالوفيات أوّل من ضبط الرسم بالحروف. ولم يذكر مصدره، ولا أعلم أحدًا قبل الصفدي أو بعده فعل ذلك.

[«وجاء ضبطه بالحروف في القاموس المحيط (القتاد) وفي تاج العروس (قتد)»]./ المجلة.

كافيًا. ولكنني أَستأنس أيضًا بقراءة حروف اسم البلدة بالقشتالية القديمة، والإسبانية الحديثة: Cutanda هكذا التي تؤدي إلى النّطق العربي: بضم الكاف وفتح التاء.

[٥]

حفظت كتُب التّراجم عددًا من أسماء أساتذة أبي بكر وشيُوخه ومن أسماء الذين أخذوا عنه، ورَوَوْا عنه، ومن أسماء أصحابه وأصدقائه من أهل الأدب والعلم، ومن ذوي المكانة الاجتماعية، وأعلام الشعر في زمانه، ونجد أحيانًا – مع هذه الأسماء – أخبارًا تضيفُ إلى ترجمة أبي بكر الكتندي، أو تقدم فوائد تُفصح عن جوانب من معالم شخصيته.

ومن أساتذته وشيوخه:

١– أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر محمد الخُشَني، من أهل مُرْسِيَة، سمع أبو بكر منه كتاب الملخّص وصحيح مسلم(٤٥)؛

٢– وأبو عبد الله خطّاب بن أحمد بن خَطّاب (فقيهٌ عالم) قرأ عليه الأدب(٤٦)؛

٣– وأبو بكر محمد بن عبد الله بن العربيّ، وكانت له رحلة إلى المشرق، وله المؤلفات المتنوعة في الأمور الشرقية والعربية والتاريخية وغيرها(٤٧)؛

٤– وأبو بكر محمد بن مسعود بن عبد الله بن أبي ركب، وقد كان إمامًا في صناعة العربية؛

(٤٥) المطرب من أشعار أهل المغرب: (٨١)، توفي بمرسية (٥٦٢).

(٤٦) المصدر السابق. وكانت وفاته قبل الثمانين وخمسمئة.

(٤٧) المصدر السابق؛ وفيه أنه عُرِف بالجزّار.

٥- وأبو إسحاق بن خَفاجة الأديب الشاعر المشهور، وقد قرأ عليه أبو بكر الكتندي نظمه ونثره في مُجلّدين(٤٨).

وفي شيوخه والذين روى عنهم: أبو الحسن يونس بن مغيث، وأبو القاسم بن أبي جمرة، وأبو الوليد بن الدبّاغ، وغيرهم.

وهذه الجمهرة من الأعلام يطول استقصاء أخبارهم وأحوالهم في عجالة كهذه المقدّمة، وهم يستوفون جوانب الثقافة العربية الإسلامية في ذلك الوقت(٤٩).

وروى عن أبي بكر الكتندي جماعة فيهم: أبو سليمان وأبو محمد ابنا حوط الله، وأبو العباس أصبغ بن علي بن أبي العبّاس، وأبو علي حسن بن كسرى، وأبو عمرو بن سالم، وأبو القاسم الملاّحي(٥٠).

وهؤلاء – وآخرون سكتت عنهم المصادر، من تلامذة الكتندي والرواة عنه يمثّلون حلقة من حلقات المتابعة الأدبية والفكرية والدينية والثقافية. وقد كان أبو بكر الكتندي حلقة متوسطة بين جيل أساتذته وشيوخه، وجيل تلامذته والرواة عنه. ونقرأ في كتاب المغرب(٥١)، لابن سعيد الذي ظهر الكتاب باسمه(٥٢)، قال

(٤٨) المطرب: ٨١. وديوان ابن خفاجة ومجموعة من رسائله مطبوعة (من تحقيق د. السيّد مصطفى غازي – الإسكندرية – منشأة المعارف – ١٩٦٠).

(٤٩) يُنظر في أسماء شيوخه وأساتذته: الذيل والتكملة (٦/٣٤٩- ٣٥٠) والمطرب من= = أشعار أهل المغرب: (٨١) والمغرب (٢/١٥٤).

(٥٠) يُنظر الحاشية السابقة..

(٥١) المغرب (٢: ١٥٤).

(٥٢) معلوم أن الكتاب من صنعة عدد من أفراد أسرة بني سعيد لكنه انتهى وأُخرج على يد علي بن موسى بن سعيد الذي انتقل إلى المشرق زماناً طويلاً، ثم استقر في تونس. (تُنظر مقدمة د. شوقي ضيف على الكتاب).

والدي:

«هو من نبهاء شعراء عصره، وسكن غرناطة، وانتفع به من قرأ عليه من أهلها، ولازمها حتّى عُدّ من أهلها».

وكان في أصحاب أبي بكر الكتندي عدد من أدباء الأندلس فيهم: أبو جعفر بن سعيد، قال فيه ابن سعيد صاحب المغرب:

«هو عَمّ والدي، وأحد مصنّفي هذا الكتاب (يعني كتاب: المغرب في حلى المغرب، قال: وكان والدي كثير الإعجاب بشعره، مقدّمًا له على سائر أقاربه».

– وفي أصحاب أبي بكر: أبو الحسن بن نزار (حسيب وادي آش).

– وأبو عبد الله الرُّصافي: شاعر عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الدولة الموحِّدية(٥٣).

وكانت لقاءات الكُتندي مع أصحابه من الشعراء مجالاً للمذاكرات الشعرية ورواية الشعر، كما كانت مجالاً لِقِطَعٍ يرتجلُها أَحَدُهم، أو أكثر من واحد، وقد يَصْدُر عن المجموعة قصيدةٌ نظموها معًا – نظمًا جَماعيًّا – (ينظر مُلحق الشعر).

ويُذكر من أَسماء الأدباء، والشعراء، والكُتّاب، والعلماء الذين كانوا يَلْقَوْنَ الكتندي أو يَلْقاهم، وتدور بينهم أحاديث، وتُقام مجالس، ويُسَاجَلُ فيها بالشعر:

– أبو علي بن كسرى(٥٤).

– وأبو عِمران بن رزق(٥٥).

– وأبو الحسَن الوَقّشي(٥٦).

---

(٥٣) المغرب (٢/ ١٥٤).

(٥٤) له ذكر في البحث والمجموع الشعري.

(٥٥) له ذكر في البحث والمجموع الشعري.

(٥٦) يرد باسم (كنية) أبي الحسن، وأبي الحسين. ورَدَ فيهما في نفح الطيب (١/ ٤٧٣،

– والفقيه أبو القاسم بن عبد الواحد[٥٧].

[٦]

لم أَجد في شعر الكُتندي الباقي شيئًا من المدْحِ أو ما يُشبهه، وليسَ في أخباره إشارةٌ إلى مدح أحد رجال عصره. وإن كان هذان الجانبان لايَحْجُبَان ماغاب عنّا من شعره وأخباره؛ فقد يكون فعَلَ ذلك. ولكنّ الإشارة فيهما ذاتُ دلالةٍ واضحةٍ؛ وهو، لو مَدَحَ، لكان قريبًا من نهج ابنِ خفاجة الذي مدَح المرابطين وقد اسْتَشرفَ أن يكونوا المنقذين لحال الأندلس المتَرَدّية بأفعالِ مُلوك الطوائف وبظروفٍ أخرى. ونقرأ في ديوان ابن خفاجة[٥٨]، في مقدمته التي صنعها بنفسه كما رتّب ديوانه بنفسه، بعد الإشادة بالأمير أبي إسحاق إبراهيم ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين:

«ولما دخَل جزيرة أَندلس... تعيّن أن أَفِدَ عليه مهنّئًا بالولاية مسلّمًا، وأغشى بِساطه الرّفيع موفيًّا حقّ الطاعة مُعظّمًا، فما لبثَ أنْ رفعَ وأَسْنى، واصطنع فأَدنى... فعطفتُ هنالكَ على نَظْمِ القَوافي عناني، وسننتها عند ذلك حُللاً على مَعَاطِف سلطاني: مصطنعًا لا منتجعًا، ومستميلاً لا مُسْتَنيلاً، اكتفاءً بما في يدي من عَطايا منّان، وعوارف جوادٍ وَهّاب، خَلق فأَبْدَع، ورزق فتبرّع...».

٤٧٤) ومواضع أخرى.

– وذكره ابن سعيد (١/ ٢٢٥) باسم: أبي الحسين الوَقّشي. والوقّشي هذه نسبة إلى بلدة «وَقّش» بالأندلس.

– في أعلام مالقة (١٠٩) «... أنشدنا أبو الحسن الوقّشي قال أنشدنا أبو بكر الكتندي، وأمر أن تُكتَب على قبره رحمه الله (الأبيات)...». انظرها في مجموعه الشعري فيما يأتي.

(٥٧) أعلام مالقة (١٠٦).

(٥٨) ديوان ابن خفاجة (٧– ٨).

ومن هنا اختلطت قصائد المديح عند ابن خفاجة بالإخوانيّات[٥٩].

وأُستاذ أبي بكر الكتندي في الأدب عامة والشعر خاصّة كان أبا إسحاق ابن خفاجَة الذي تحدّث بنفسه في ديوانه عن التفاته إلى الطبيعة وخصوصًا في بلدته شُقْر[٦٠]، ومحيطها من منطقة بلنسية بشرقيّ الأندلس.

وتحدّث د. إحسان عباس عن وَصْف الطبيعة في الأندلس قبل ابن خفاجة، وعن أثره في هذا الغرض في الأندلس، وفي الأدب العربي عامة[٦١]، فقد زاد ابن خفاجة في هذا الموضوع: في التشخيص وفي الرابطة العاطفية بينه وبين الطبيعة[٦٢] واعتمد وسائل فنية جديدة متصلة بملكات خاصة لديه... وربط الطبيعة بكل موضوع، وجعلها المتكأ الذي يستند إليه القول الشعري عامّة...»[٦٣] ثم قال: إن ابن خفاجة كان يرى الطبيعة في إطار الغناء، وضمّن إحساسه بالتغيّر، وحسّه الدقيق بالصراع بينه وبين الزّمن[٦٤].

(٥٩) ابن خفاجة: محمّد رضوان الدّاية: الطبعة الثانية – فقرة (المديح) في أغراض شعر ابن خفاجة.

(٦٠) شُقْر (Jucar) تنطق اليوم هكذا: خوكار، تبعد عن بلنسية نحو ١٨ ميلاً. وتقع على نهر يسمّى نهر شُقر، فإذا وصل إليها انقسم قسمين فصارت المدينة كالجزيرة بين الفرعين. وهي في منطقة زراعية حراجيّة من أجمل بلاد الأندلس، وهي بلدة ابن خفاجة، وقد خلّدها في شعره بقصائد ومقطعات (الروض المعطار (٣٤)، ومعجم البلدان (٣/ ٣٥٤) وفيه: شَقر بفتح الشين، وهو خطأ ظاهر.

(٦١) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين (٢٠٤) وما بعدها.

(٦٢) انظر تلمذة أبي بكر الكتندي على ابن خفاجة – على سبيل المثال – القطعة ذات الرقم (١٣) من مجموع شعره (القسم الثاني من هذا البحث).

(٦٣) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين (٢٠٤ – ٢٠٥).

(٦٤) المرجع السابق.

وقد قال د. فرّوخ إن ابن خفاجة برع خاصّة في وصف الطبيعة والحنين إلى الوطن(٦٥).

وأهم موضوع في ديوان ابن خفاجة كما قدّر د. شوقي ضيف(٦٦) وهو موضوع استنْفدَ أكثر شعره، واشتهر به فهو وصف الطبيعة.

وقد مرّ ذكر ابن خفاجة في كتب الأدب الأندلسي مدرسيّةً وجامعيّة وعامّة. ومن ذلك فصل خاص عنه في كتاب (في الأدب الأندلسي) (٦٧).

وأفردتُ ابن خفاجة بكتاب مستقل، صدر بعنوان (ابن خفاجة) (٦٨).

وقد أطلق عليه الأندلسيون لقب جَنّان الأندلس أو الجَنّان أي البستاني لكثرة وصفه الطبيعة ولاستغراقه فيها.

وإذا تركنا أُستاذه ابن خفاجة (زعيم هذ المذهب ومؤصّل أصوله وفُروعه) وقفنا عند شاعر آخرَ كبير من أتباع المذهب الخَفاجيّ، ومن أصدقاء الكُتندي المخلصين: الرّصافي البلنسي؛ وآنسنا منه قريبًا ممّا آنسنا من ابن خفاجة، ونقرأ للدكتور إحسان عباس عنهما: «كلاهما رحّب بِمَقْدَم دولةٍ جديدة: رحّب ابن خفاجة بِمقدم المرَابطين ومدَح أُمراءهم، ورَحّب الرّصافي بمقدم الموحّدين ومدح بعض أمرائهم ثم نفى عن نفسِه كلَّ ذلك، وعاش قانعًا بِحرفه الرّفو... (٦٩)».

(٦٥) تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١٨ – ٢١٩).

(٦٦) عصر الدول والإمارات: الأندلس (٣١٨ – ٣١٩).

(٦٧) في الأدب الأندلسي – محمد رضوان الداية – دار الفكر – دمشق – ط٢.

(٦٨) ابن خفاجة – محمد رضوان الداية – الطبعة الثانية بدار قتيبة – دمشق.

(٦٩) ديوان الرّصافي البلنسي ط١: ص١١.

– والمقصود رفو الثياب، وصاحبها: رَفَّاء. وكان الرُّصافي البلنسي يلقّب بالرفّاء. فهو الرّفاء الأَندلسي في مقابلة السّرِيّ الرفّاء الموْصِليّ (المشرقي).

وكان من أتباع المذهب الخفاجي في هذه المدّة ابن الزقّاق البلنسي[٧٠]، والرصافي البلنسي[٧١]، وأبو المطرّف بن عميرة المخزومي[٧٢]، وأبو بكر الكتندي[٧٣] وغيرهم.

واستمرّ هذا التيار في الأَجيال التّالية في الأَنْدلس.

....

[٦/أ]

يظهرُ لقارئ شعرِ الكُتندي الباقي التفاتُه إلى الطبيعةِ واستغراقه فيها فَنيًّا ووُجدانيًّا. فوصَف الطّبيعة الحُرَّة، ووصفَ مشاهِدَ صناعيّة تلفتُ الانتباه، وتسترعي النظر.

– ومن شعره الوصفيّ قولُه الممزوج بالانفعال الوُجْداني[٧٤]:

يا نَهْرَ إشْنِيْلٍ أَلا عَوْدَةٌ لذلك العَهْدِ ولو في المنامْ؟
ماكان إلاَّ بارقًا خاطِفًا مازلتُ مُذْ فارقني في ظلامْ!
لله يومٌ منه لم أَنْسَهُ وذكر ما أَولاهُ أَوْلى ذِمَامْ
إِذْ هندُ غُصْنٌ بين أَغْصَانِها كالدَّوْحِ يَثْنيهِ هَدِيلُ الحمَامْ

فالشّاعر يتَحدّثُ عن نَهْرِ «إشنيل» وذكرياته في غَرْناطة؛ تلك الذّكريات

(٧٠) صدر ديوانه في دار الثقافة – بيروت بتحقيق عفيفة ديراني.

(٧١) جمع شعره د. إحسان عباس، وطُبع في دار الثقافة – بيروت.

(٧٢) نشر رسائله وشعره الباقي د. محمد بن شريفة في الرباط في كتابه (أبو المطرّف بن عميرة المخزومي).

(٧٣) ها نحن أولاء نجمع شعره، ونقدِّم له بهذه الدراسة.

(٧٤) انظر القطعة (٢١) من شعر الكتندي (القسم الثاني من هذا البحث).

التي كانت طيّبةً مُعجبةً، فمرّت عَجْلى سريعة، ويصف لنا مكانَها في نفسه؛ ويعرّج على تتمة المشهد: الأَرض الطيبة والماء العذب والحبيبة الجميلة... ويُعَبّر عن صورة جمالها بكونها – فيما يرى – جزءًا من تلك الطّبيعة المعجبة...

وهذا يذكّرنا بابن خفاجة، كقوله مثلاً في صِفَةِ فتاة[٧٥]:

وَضحَتْ سَوالفُ جِيدها سُوْسَانةً وتَورَّدتْ أَطرافُها عُنّابا

– وله وصفٌ طريفٌ لحوضٍ نُحاسيٍّ عليه أَربعةُ أُسودٍ نُحاسيّة أيضًا ينصبُّ منها الماء، قال[٧٦]:

انظُرْ إلى الماءِ وانْصِبَابِهْ يَجْرِي مِنَ أفْواهِ أُسْدِ غابِهْ

أزرق يَنْسَابُ ذا حَبابٍ كأنَّهُ الأيْمُ في انسيابِهْ

....

[٦/ب]

ومن الامتزاج بالطبيعة الأندلسيّة المتميّزة والالتفات إلى الذات، وارتباط المكان بالزمان نقرأ نصًّا حسنًا جدًّا ينزعُ مَنْزِعًا غَريبًا نألَفُ مثله – كثيرًا – عند شُعراء المذهب الخفاجي، وهو قصيدةٌ قصيرة، أو قطعةٌ من ستّة أَبيات، يقف فيها الشاعر عند شجرةٍ قديمةٍ في الحَيّ الذي نَشأ فيه، ويجري حوارٌ من طرف واحدٍ شديد التّعبير عن نفسِ الشاعر، وحاله، ومكنوناته الداخليّة؛ قال[٧٧]:

يا سَرْحَةَ الحَيّ يا مَطُولُ شرح الذي بيننا يطولُ

عندي مقَالٌ فهلْ مقامٌ تُصغين فيه لما أقول؟

(٧٥) انظر النصّ والتعليق عليه في (ابن خفاجة) (٥٩).

(٧٦) انظر القطعة (٥) من شعر أبي بكر الكتندي (القسم الثاني من هذا البحث).

(٧٧) القطعة (١٣) من شعر أبي بكر الكتندي (القسم الثاني من هذ البحث).

ولي دُيونٌ عليكِ حَلَّتْ لَو أَنه يُنْفَعُ الحُلولُ...
ماضٍ من العَيْشِ كان فيه مَلْبَسَنا ظِلُّك الظليلُ
زالَ.. وماذا عليكِ ماذا يا سَرْحُ لو لَمْ يكنْ يَزول؟..

ويختم الشاعر القطعة بالدعاء لتلك السَّرحة التي استظلَّ بها زمانًا، وحملَتْ من نفسِه ومشاعره مثلما حملَتْ من أَخباره وأسراره... إنّها صورةٌ مُصَغَّرة جِدًّا (مكروفلم) من قِصّةِ حياة!...

ولا نجدُ في الباقي من شعر الكُتندي أَثرًا لشعر نتوقّعُ وجوده في ديوانه القديم من مُعالجة الأَحوال العامّة، أو الإشارة إلى حادثةٍ من الحَوادث التي كانت تشغل الناس وتقضّ مضاجعهم أحيانًا من الفتن والثورات وحركات المتوثّبين. وإذا كُنا رجّحنا عدمَ انغماس الكُتندي في المِدْح (على القياس والتّغليب) فإنّ وجود شعر المدح قد ينفع في رسم صورة علاقة الشّاعر بالدّنيا السياسية من حوله. لكنّ الشعور الوطني الذي يستظلُّ وراءَ «الطبيعة» و «المكان» في شعره يَشي بنوعٍ من الارتباط بالأرض والاستظلال بظلالٍ يتناوبُ فيها الخوف والأمن، والاضطراب والاستقرار. وممّا يُسْألُ عنه من الشعر في ديوان الكتندي الضّائع ما يمكن أن يكون نَظَمه في المعارك مع الدّول المعادية، والحثّ على الجهاد والمقاومة، وحفظ الوطن وأهله.

[٦/ج]

والوتر الدّيني الإسلامي صَدّاحٌ في قلبه كما هو في لسانه؛ ومن هنا نجده يتعّظُ من بارق الشّيب، وينظم أبياتًا لتُنقش على قبره عند وفاته، ويربط الوعظ بالوازع الديني... وقبل هذ كلّه ينظم في مدح رسول الله ﷺ، قال — مثلاً —:

أَنْتَ الغنيُّ وإنّ الفقْرَ بَرَّح بي فأَغْنِنِي بالغِنى المغني عن النَّشَبِ

إن تدركني[٧٨] بِرُحْمى لم أخَفْ دَرَكًا وإن تكلني إلى نفسي فيا نَشَبِي!

وقال:

لأمرٍ ما بكيتُ وهاجَ شوقي وقد سَجَعَتْ على الأيْكِ الحَمَامُ

لأنَّ بياضَها كبياضِ شَيْبي فمعنى شَدْوِهَا «قَرُبَ الحِمامُ»!..

– والحِمام بكسر الحاء هو الموت.

....

هذا الشّاعر الذي يُعَدُّ حَبّةً في عقدِ المذهب الخفَاجي، شاعرٌ له شخصيّته أيضًا، ورؤيتُه الفَنّية، وأُسلوبُه، فإنه يرجّح رشاقة العبارة، كلّما رأى ذلك مُناسبًا، على الجَزالة، ويُؤثر طَرافةَ الفكرة وبساطتها على عُمقها وفلسفتها: مع المحافَظة على أَساسيّات الخفاجيّة التي صارت جزءًا من العملية الفنيّة عند هؤلاء الشعراء.

ويستطيع قارئ الباقي من شعر الكُتندي أن يُضيفَ إلى طبيعة شخصيّته، وملامحها الجانبَ المرِحَ في حركة الحياة، على رغم الظروف الصّعبة التي كانت تمُرُّ بها البلادُ جميعًا في مُعظم سنوات حياته.

(٧٨) انظر قراءة الكلمة وسياقَ الشّعر في النصّ المحقق، في القسم الثاني (التالي)، الرقم [٤].

(القسم الثاني)
شِعْرُ أبي بَكر الكُتندي الأَندلسي*

[١]

نقَلَ صاحِبُ أعلام مالقة[٧٩]، «من خطّ أبي عمرو بن سالم قال: أَنشدني صَاحِبُنا الفقيه أَبو عليّ بن كِسْرى[٨٠]، مِمَّا ارْتَجَلَ أبو عبد الله الرُّصافي[٨١]، بحضرة أبي بكر الكُتندي الكاتب رحمه الله في صَنَوْبَرةٍ قد صُنِعَتْ من نحاس، وثقبت جوانبها، وركّبت في وسط مُستدير ماءٍ في بُستان أبي عِمران المذكور[٨٢]، فقال فيها أبو عبد الله الرّصافي — رحمه الله — هذه الأَبيات: [من المتقارب]

ورَوْضٍ جَلا صَدأَ العَيْنِ بِهْ أُزَيْرِقُ يَطْفُو على مَشْرَبِهْ[٨٣]
صَنوبرةٌ رُكّبتْ ساقُها إليهِ فَخَاضَتْ حَشَا مَذْنَبِهْ
فَشَبَّهْتُها وأَنابِيْبَها – بها الماءُ قد جَدّ في مَسْكَبِهْ –
بِأَرْقَمَ كَعَّكَ مِنْ شَخْصِهِ وأَفراخُهُ يَتَعلَّقْنَ بِهْ[٨٤]

(*) جمعه كاتب المقال وراجعه وشرحه.

(٧٩) أعلام مالقة (٩).

(٨٠) سيرد تعريف به فيما يأتي.

(٨١) هو الشاعر المشهور بالرُّصافي البلنسي (له ذكر في حواشي المجموع).

(٨٢) أبو عمران موسى بن رزق.

(٨٣) الشعر في أعلام مالقة (٢٠٩).

(٨٤) الكعك معروف، يقال إنَّه مُعَرّب. ولما كان الكعكُ كثيرًا مايكونُ مُدَوّرًا، وأَشهر نوع: مُستدير (من عجينةٍ طولانيّةٍ ضمّ طرفاها فنضجت وهي مُدَوّرة) فمن هنا اشتقّ الشاعر من الكلمة وقال كَعَّك، أي: اتّخذ شكلَ الكَعْكَةِ استدارةً؛ وهو توليد،= =واشتقاق من الجوامد

ولأبي بكر الكُتنْدي فيها[٨٥]: [من الطويل]

صَنَوْبَرَةٌ لم يُوجِدِ الكونُ مِثْلَها حُلِيَّ بسَاتينٍ وريْقَ مذَانبِ[٨٦]

حَوَتْ ذائبًا من طَعْمِها خَرْقَ عادَةٍ فَسال يَنابيعًا على كُلِّ جَانِبِ[٨٧]

يُضَاهي الثُّرَيَّا شَكْلُهَا واجْتِمَاعُها لَوَ انَّ الثريّا [عارَضَتْهَا] بِذَائبِ[٨٨]

على منهج عربي صحيح.

– وبالمناسبة فإنهم في اللهجة الدارجة في الشام يقولون ((كَعْوَك)) بدلاً من كَعّك. جاؤوا بفَعْوَل بدلاً من فَعّل.

– والأَرْقَم من الحيّات مافيه سواد وبياض، أو رُقِمَ بسوادٍ وحُمرة أو كُدرة أو بُغثة؛ والأنثى: رقشاء (لايُقال رقماء).

– (وانظر تاج العروس: ر ق م).

(٨٥) أعلام مالقة (٢٠٩)، وأدباء مالقة (٢٠٢). (والشعر متابعة لوصف تلك الصنوبرة المصنوعة).

(٨٦) المذانب جمع المذنب: مسيل الماء إلى الأرض.

– ونوّن الشاعر ((بساتين)) ضرورةً.

(٨٧) في أدباء مالقة: دائبًا... خَرق عادةٍ.. وفي ((ينابيع)) مُنَوّنةً ضرورة شعرية.

(٨٨) في أُدباء مالقة: ((فراغ بمقدار كلمة واحدة)). واقْتَرَح في أَعلام مالقة وضع عبارة: ((قد حَكَتْها)). واقترحتُ أنا عبارة: ((عارَضَتْها)). ومعنى عارَضَ فلانٌ فلانًا (أو عارضَ شيءٌ شيئًا): باراهُ وأتى بمثل ماأَتى به، يُقال: عارَضَهُ في الشِعْرِ، وعارضه في السَّيْرِ، وعارَضَهُ بِمِثلِ صنيعه. (من الوسيط).

– وقد عادَ الرُّصافي البلنسي إلى هذه الصّنوبرة فوصَفَها في قطعتين؛ فقال: [من البسيط]

لم أَنْسَ ماراقَ عيني من صَنَوْبَرَةٍ لها مع الماءِ حالٌ غير مَحْلُول

تعبُّ فيها لجينها فتنفخه أعطافها مثل أشطار الخلاخيل

– وقال: [من مخلّع البسيط]

[٢]

وقال يخاطبُ الرُّصَافي البَلَنْسِيّ الشاعر[٨٩]: [من الطويل]

غَلَبْنَاكَ عَمّا رُمْتَهُ يا ابْنَ غالِبٍ بِرَاحٍ ورَيْحَانٍ وشَدْوٍ وكاعِبِ!

[٣]

وقال في معنى الغَزل[٩٠]: [من البسيط]

يا نُخْبَة الظَّرْفِ بل يا نُخْبَةَ الأدَبِ [ما] للهوى غَيْرُ ذاكَ الحُسْنِ مِن سَبَبِ[٩١]

البَدْرَ أَطْلَعْتَ مِنْ قَدٍّ على غُصُنٍ مَتَى ظَفِرْتَ بِأَفْلاَكٍ من القُضُبِ؟

[٤]

وقال في الزُّهد[٩٢]: [من البسيط]

وجدول كاللُّجَيْنِ سائلْ صافي الحَشَا أزرق الغَلائلْ

عليهِ شكلٌ صَنَوْبَرِيٌّ يفتلُ من مائهِ خَلاخِلْ!

(٨٩) ورد البيتُ في سياق خبره: انظره في المُلْحَقِ بشعر الكُتَنْدِي [ختام الملحق١].

– والبيت في النّفح (٣/ ٥١٤).

(٩٠) النّص في أعلام مالقة (١٠٦– ١٠٧) وأدباء مالقة (٨٦).

– وردت القطعةُ بعد قطعة في الغَزل داليّة، تجدها في موضعها من هذا المجموع الشّعري، أوّلُها [الرقم٨]:

ومُهَفْهَفٍ هزّ الحسامَ ورُبّما فَلّتْ لواحِظُهُ مَضارِبَ حَدِّهِ

وقال مؤلّف أعلام مالقة في التّقديم لها: «قال شيخنا أبو القاسم، وهو ممّا ارْتجل فيه...».

(٩١) في الشّطر الثاني نقصٌ؛ اقترَحَ له في أَعلام مالقة: [هل] للهوى...؛ واقْتَرَح في أُدباء مالقة: [ما] للهوى.

– ورجّحتُ «ما للهوى» وهي قراءةٌ اقْتَرَحَها الأُستاذ المنوني رحمه الله نبّه محقّق أعلام مالقة في الحاشية (٤) على هذا.

(٩٢) النص في أعلام مالقة (١٠٧)؛ وفي أدباء مالقة (٨٧).

أَنْتَ الغَنِيُّ وإنَّ الفَقْرَ بَرَّح بي فأَغْنِنِي بالغِنى المُغْنِي عَنِ [النَّشَبِ] (٩٣)
إن تَدَّرِكْنِيْ بِرُحْمى لم أَخَفْ دَرَكًا وإنْ تَكِلْني إلى نَفْسِي فيا نَشَبِي! (٩٤)

[٥]

قال صاحِبُ أعلام مالقة(٩٥): فمن شعره (الكُتندي) ماحدّثني به الفقيهُ أبو القاسم بن عبد الواحد – رحمه الله – وذلك في قوله يصفُ صفيحة نُحاسٍ عليها أُسُودُ نحاسٍ أربعة: [من مخلّع البسيط]

(٩٣) آخر كلمة من الشطر الثاني ناقصة من المخطوطة. واقْتَرَحَ لها في أعلام مالقة كلمة: [الوَصَب]؛ ومعناها: الوَجع والمرض، أو التعب والفتُور في البَدَن. واقْتَرَحَ لها في أُدَباء مالقة: [التّعب] ومعناها ظاهر.

– قلت: اجْتِهادُ المحقّقين الفاضلين يناسِبُ الوزن والقافِية، ولكنه لا يوافِقُ المعنى المراد. فالشّاعر يُمَجّد الله تعالى باسمٍ من أسمائه الحُسنى وهو «الغَنِيّ» ويَسْألُ الغِنى من فضله، وأن يَتَداركه برحمته.

– واقترحت كلمة (النَّشب) لسببين:

أحدهما: أَنَّ النّشب موافقة للمعنى المراد، **والنَّشَب هو المال**.

والثّاني: أنَّ وضع النّشب في القافية يُوافق غرَضًا بديعيًّا كان شائعًا هو التّجنيس: تجنيس القَوافي. فالنّشَبُ الأُولى: المال الأَصيلُ من ناطقٍ وصامت (أموال مَنْقُولة وغير منقولة)، والنشب الثّانية من قولهم: نشب في الشّيء: وقع في ما لا مَخْلَصَ منه!

– وفي الشّعر اقتباس من الحديث الشريف «من حديث الدعاء: ولا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ فَأَهْلِك»: (النهاية: وكـ ل).

(٩٤) في أعلام مالقة: «إن تدّركني بِرُحْمى». وفي أُدباء مالقة: «إن تُدْرِكَنّي» (لاحظ وضع الشدّة واختلاف العبارة).

(٩٥) أعلام مالقة (١٠٦) وأدباء مالقة: (٨٦).

انْظُرْ إلى الماءِ وانْصِبَابِهْ يَجْرِي مِنَ افْواهِ أُسْدِ غابِهْ[٩٦]
أَزْرَقُ يَنْسابُ ذا حَبابٍ كأَنَّهُ الأَيْمُ في انْسِيَابِهْ[٩٧]
فاعْجَبْ لِمَرْأًى يَرُوْعُ لكنْ قد زَادَ أَنّا مَحَلُّنا بِهْ[٩٨]
مِنْ كُلّ ليثٍ إزاءَ لَيْثٍ يَمُجُّ رَقْطاءَ مِنْ لُعابِهْ[٩٩]
أَمْنُكَ من أَنْفِ ذي، وفِيها [أَمْنُكَ] مِنْ ظُفْرِ ذَا ونابِهْ![١٠٠]

[٦]

كانت الشّاعرة حَفْصَة بنتُ الحاجّ الرَّكُونِيَّة[١٠١]، في مجلس أبي جعفر ابن

(٩٦) «مِنَ افواه» بنقل حركة همزة أَفْواه إلى النّون، لتصبح للضرورة كهمزة الوَصْل.

(٩٧) الحَبابُ: مايطفو على سطح الماء المضطرب، وبعض أنواع الشراب.

– والأَيْمُ: الحَيّةُ الذكر. يشبّهون الماء في السّواقي والجداول منسابًا، بانسياب الحيّة، وحركتها في «مشيها».

(٩٨) يُقال: راع الشّيءُ فلانًا: أَعْجَبَهُ، وراعني جمالها؛ فهي رائعة.

(٩٩) الرّقطاء: نوع من الحيّات به رُقْطة (وتُقال في العِظَاء والمرَاد هنا الأَفعى)، وهي التي على جلدها بُقَعٌ ونقط. يقول: إنّ الماء المنسكب من أفواه الأُسود يشكّلُ صورة الأفاعي (وجعلها من الأفاعي الرُّقط).

(١٠٠) الكلمة الأُولى من الشّطر الثاني في أعلام مالقة: «آمَنُ»، وهي في أدباء مالقة: «أَمْنًا». وقرأتُها على التوهّم — فليست المخطوطة بين يدي — على الوجه المثبت لأنّ المعنى مناسبٌ لها يقول: إنها أُسودٌ تَرْسُم من الماء المتدفّق منها أفاعيَ وحَيّات. وكلا النوعين خَطِرٌ، قاتلٌ؛ والإنسان لا يأمَنُهما معًا. ثم قال: أَمْنُكَ من أَنياب الأَفاعي وسُمّها (الأنف والفم في الشعر) كأَمنكَ من أَظفار الأُسود وأنيابها. وفي البيت تشبيه طريف. ووجه الشّبه فقدان الأَمان منهما للإنسان!

(١٠١) من أهل غرناطة، وصَفَها في الإحاطة بأنّها فريدة زَمانها في الحُسْنِ والظَّرف والأدَب واللّوذعية، وأنّها أَديبةٌ نبيلةٌ جيّدة البديهة، سريعةُ الشعر، ولها مساجلات= =مدوّنةٌ مع عدد

عبد الملك بن سعيد[١٠٢] (عم والد الأَديب المشهور ابن سعيد صاحب المغرب وغيره) وكان أديبًا شاعرًا، وبينه وبين حفصة مساجلات، وكان بينهما مودّةٌ اشتهرت. وحضر أبو بكر الكُتندي في ذلك الوقت وعَلِمَ بوجودِ حَفْصَة، فبعث إلى أبي جعفر بن سعيد برقعةٍ فيها هذه القطعة، نظمها على البديهة[١٠٣]: [من الطويل]

أبا جَعْفَرٍ يا ابْنَ الكرامِ الأماجِدِ خَلَوْتَ بِمَنْ تَهْوَاهُ رَغْمًا لِحَاسِدِ
فهل لكَ في خِلٍّ قَنُوعٍ مُهَذّبٍ كَتُومٍ عليمٍ باختفاءِ المراصدِ؟
يبيتُ إذ يخلُو المحبُّ بِحبِّهِ مُمَتَّعَ لذّاتٍ بخمسٍ ولائدِ!!

فقرأها أبو جعفر على حفصة، فقالت: لعنه الله! قد سَمِعْنا بالوَارِشِ على الطعام[١٠٤] والواغِل على الشراب[١٠٥]، ولم نسمع اسمًا لمن يعلم باجتماع محبّين

من شعراء العصر. توفيت سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وخمسمئة.
المطرب (٢١٠)، والمغرب (٢/ ١٣٨)، ورايات المبرّزين (١٦١)، والإحاطة (١/ ٤٩١)، والمقتضب من تحفة القادم (١٦٧)، ونفح الطيب (٤/ ١٧١) ومواضع أُخر، ومعجم الأدباء (١٠/ ٢١٩).

(١٠٢) أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد، من أهل السّياسة والإدارة. كاتب أديب وشاعر بارع، ممّن تابعوا في الأندلس خَطّ النّزعة الخفاجيّة. وفي شعره الباقي جانب يشبه منزع ابن زيدون في ولاّدة (مع حفصة الركونية). شارَكَ في دعوة محمد بن مردنيش المضادَّة للموحّدين (حكام الأندلس والمغرب) وقتل في تلك الحركة سنة ٥٥٩ وكان له ديوان شعر.
المغرب في حُلى المغرب (٢/ ١٦٤)، ورايات المبرّزين (١٧٠)، والإحاطة (١/ ٢١٦)، ونفح الطيب (٣/ ٥١٣).

(١٠٣) يدخل الخبر والشعر في مساجلاتهم وفي مساحة الحريّة الواسعة في أيّامهم.

(١٠٤) الوارش اسمٌ يُطلق على الذي يَرِشُ (والماضي وَرَش) أي يَدْخُل على قومٍ = =يأكلون ولم يُدْعَ، ليأخذَ نصيبًا من طعامهم (ويأكل معهم).

فيروم الدخول عليهما! فقال لها بالله سمّيه لنا لنكتب له بذلك! فقالت: أُسَمّيه **الحائل**[١٠٦]، لأنه يحول بيني وبينك إنْ وقعت عيني عليه. فكتب له في ظهر رُقْعتِهِ: [من المجتثّ]

يا مَنْ إذا ما أتَاني ... جَعَلْتُه نُصْبَ عيني
تُراكَ تَرْضى جُلوسًا ... بينَ الحبيب وبيني؟
إن كانَ ذاكَ فمَاذا ... تَبْغِي سِوى قُرْبِ حَيْني؟[١٠٧]
والآنَ قد حَصَلتْ لي ... بَعْدَ المِطالِ بِدَيْني
فإنْ أَتيْتَ، فدَفْعًا ... منها بكلتا اليَدَيْنِ
أو لَيْسَ تَبْغِي وحَاشا.. .. كَ أنْ تُرى طَيْرَ بَيْنِ[١٠٨]
وفي مَبِيْتك بالخَمْ.. .. سِ كُلّ قُبْحٍ وشَيْن
فليسَ حقُّكَ إلاَّ الْ.. .. خُلُوّ بالقَمَرَيْنِ!

– وكتب له تَحْت ذلك ماكانَ منها من الكلام، وذَيّل ذلك بقوله: [من مجزوء الكامل]

(١٠٥) الواغل اسم من وغل على القوم في شرابهم: دخل عليهم فشرب معهم دون أن يُدعى.

(١٠٦) الحائل: فاعل من حال يحولُ: بمعنى حَجز ومَنَعَ. اسمٌ اقْتَرَحَتْهُ حفصة لهذا الداخل على اجتماع قومٍ لم يُدْعَ إليه. وخصّت لِقاء مُحِبَّين أو صديقين؛ فهو يحول بينهما وبين الحديث الصّريح، أو هو يُفسدُ عليهما بدخولِه لقاءهما!.. والأمر كُلّه مركّبٌ على الدُّعابة، والمُمَاسَطة الشّعرية؛ وفي حُريّة القول، وطَرافة الموقف.

(١٠٧) الحَيْنُ: الموتُ والهَلاك.

(١٠٨) الغُراب، ويُقالُ فيه غُراب البَيْن، لأنَّ وقوعه في الدّيار يكثُر حين يُسَافر أهلها ويغادرونها. فاقْترن طُروءُ الغُراب (الذي في المدن والأَرياف) بالبَيْن والفِراق.

سَمّاكَ مَنْ أَهواكَ (حائلْ) إِنْ كنتَ بَعْدَ العَتْبِ واصِلْ
مَع أَنَّ لونَكَ مُزعِجٌ لو كنتَ تُحْبَسُ بالسَّلاسِلْ!

وللخبر بقيّة تخرجُ عن سِيَاق هذه الدّراسة.

[٧]

وقال في النَّارَنْج(١٠٩): [من السّريع]

انظُرْ إلى النَّارنج مُسْتَغْرِبًا فَما عَلَى إِغْرَابِهِ من مَزِيدْ(١١٠)
أَلَّفَتِ الضِّدَّيْنِ أَشْجارُهَا وذَاكَ من أَغْرَبِ مافي الوجودْ! (١١١)

[٨]

وقال [في غرض الغزل](١١٢): [من الكامل]

(١٠٩) النص في أعلام مالقة (١٠٧)، وأدباء مالقة: (٨٧).

(١١٠) النّارنج (في التعريف العلمي): شجرةٌ مثمرةٌ من الفصيلة السّذابية دائمة الخضرة تسمو (ترتفع) بضعة أمتار. أوراقها جلدية خضر لامعة، لها رائحة عطريّة، وأزهارها بيض عبقة الرائحة تظهر في الربيع. والثمرة لبيّة تُعرف كذلك بالنَّارَنْج: عصارتها حمضية مُرّة. وتُستعمل أزهارها في صنع ماء الزهر، وفي زيت طيّار يستعمل في العطور. وقشرة الثمرة تُستعمل دواءً، أو في عمل المربّيات (الوسيط). وانظر أيضًا الموسوعة في علوم الطبيعة.

– كلمة «مِنْ» في الشطر الثاني غير ظاهرة في المخطوطة، واقترحها المحققان معًا.

(١١١) وجهُ الغَرابة، في الملمح الشعري، كما نَبّه الشاعر هو اجتماع الماء في ثمرة النّارنج وهو عصيرُها؛ والنّار (على التشبيه). فَحُمْرَةُ النارنج كالنار لكنها تحمل الماء. وفي هذا جمع (شعريّ) بين ضِدَّين.

(١١٢) النص في أعلام مالقة (١٠٦) وأدباء مالقة: (٨٦).

ومُهَفْهفٍ هَزّ الحُسامَ ورُبَّما فَلَّتْ لَواحِظُهُ مَضَارِبَ حَدِّهِ[١١٣]
حَيّا فبالغَ في تحيّتِهِ، وقَدْ أَبْدى الحيَاءُ تَوَرُّدًا في خَدِّهِ
فسألْتُ ماهذا؟ فقالَ مُجَاوِبًا: أَنَسِيْتَ نَيْسَانًا ويانِعَ وَرْدِهِ؟[١١٤]
لاتُنكروه مِنْ دَمٍ أُهَرِيْقُهُ بِلحاظِ مَنْ سَاوَرْتُ منه بودّه[١١٥]
الوَرْدُ خَدّي والمهَنّد ناظِري ودمُ المحِبِّ هَدِيَّةٌ مِن عِنْدِهِ!..

[٩]

قال صاحب أعلام مالقة:

وَحدّثني[١١٦] الأديب أبو علي بن كسرى[١١٧] قال:

(١١٣) في أدباء مالقة: قدّ الحسام.

(١١٤) شهر نيسان (شهر إبريل) وهو الرّابع من شهور السنة الشمسية. أَورده الشاعر لأنه من شهور الرّبيع، وفيه يبلغ إزهار الأزهار والأَوراد والزنابق والأعشاب العطرية مَبْلغًا عظيمًا.

(١١٥) الشطر الثاني في أعلام مالقة كما أثبت. وهو في أدباء مالقة:

((بلواحظ من ساورت تردّده))

– وقال في الحاشية: ((كذا في الأصل؛ وقد وضع الناسخ إزاء البيت علامةً على وجود خلل في البيت)) انتهى.

– وفي أعلام مالقة الحاشية ٣و ٤: يرد (شطر البيت) في الأصل (أ) بهذه الصفة: ((بلواحظ من ساورته تودّده)). ونبه على مازاده في الشطر ليستقيم الوزن والنصّ. وفي رسم البيت وقراءته نظر.

(١١٦) النص في أعلام مالقة (١٠٨)، وأُدباء مالقة (٨٨).

(١١٧) أبو علي بن كسرى هو الحسَن بن علي المشهور بابن كِسرى. تَرجم له ابنُ الأبّار في التّكملة (مصر)، وفي تُحفة القادم؛ وذكره المقَّريّ في نفح الطيب. وهو من شرط كتاب أعلام مالقة، وقد ورد ذكره كثيرًا في صفحات الكتاب. لكن ترجمته في الجزء= =المفقود منه.

دَخَلْتُ يومًا بُستان الوزير أَبي عِمران بن رزق[١١٨]، فوجدتُ أبا بكر الكُتندي وفي يده إناءٌ قد ملأه ماءً وهو يسقي به أَصْلَ بَهارٍ[١١٩] قد ظهرت فيه نَوَّارةٌ في غير أَوانها، عجبتُ مِنْ كَلَفِهِ بها، فقلت: هل حَضَرَكَ شيءٌ فيها؟ فأطرقَ ساعةً، ثم أنشدني رحمه الله: [من مخلّع البسيط]

وحَقِّكُمْ إنَّهُ بَهَارٌ يُوْجِبُ أَنْ تُصْبَحَ العُقَارُ[١٢٠]

وقد جرى وصفه بالفقيه، الكاتب، الشاعر. وفي النّفح أنه قصد إلى حاكم إشبيلية (أيام المرابطين) إبراهيم بن يوسف بن تاشفين وأنشده قصيدة في مدحه «طار مطلعها في الأقطار كلّ مطار» وهو:

قسمًا بِحِمْصٍ إنَّهُ لَعَظِيْمُ فهي المقامُ وأَنتَ إبراهيمُ!

وتنقّل في أنحاء الدّولة في قُطريها الأندلسي والمغرب وأقام مدّة في مراكش. وابن كسرى واحد من أصحاب الكُتندي، ويُذكر مع الرصّافي البلنسي، فقد «سمع منه ديوان شعره» كما في التكملة. ويُعد في أتباع المذهب الخفاجي.

– وكانت وفاة ابن كسرى سنة ٦٠٣ أو ٦٠٤.

(المقتضب من تُحفة القادم: ١ والتكملة (مصر) ١: ٢٦٤، ونفح الطّيب ٣: ٣٩٩، وأعلام مالقة: مواضع كثيرة تُراجع في الفهرس).

(١١٨) في الأصل هنا – من أعلام مالقة – «مرزوق» وفي أدباء مالقة: «رَزّوق»، ولكن المؤلِّف ترجم له في الرقم: ٥٩ باسم موسى بن رزق في نسختي الطبع. وقد ذكره في النفح باسم موسى بن رزق ٥: ٥٧ في أثناء الكلام على الرّصافي البلنسي صاحبه.

(١١٩) البَهار في استعمال الأندلسيين هو النّرجس في المشرق. وقد يَستعمل أهل الأندلس الاسمين معًا (البديع في وصف الرّبيع – عسيلان: ٩٩) وهو من نباتات الزّينة، ويُستعمل طبيًّا أيضًا.

(١٢٠) العُقَار من أسماء الخمرة. و «تُصْبَح» تسقى صباحًا. ويقابلها الغَبُوق: شراب المساء.

غُرَّة تشرينَ، أَيّ يومٍ إليْهِ مِنْ حُسْنِهِ يُشَارُ[١٢١]
بَعْدَ احْتِجَابٍ وطُوْلِ عَهْدٍ أبدى فما خدّه البَهارُ[١٢٢]
في روضة سال كلّ شِرْبٍ منها كما تُنْتَضَى الشِّفَارُ[١٢٣]
سُقِيْتِ وَسْمِيَّةً هَمُوعًا يا روضةً حَثَّها ابْتِكَارُ[١٢٤]

قال الأديبُ أَبو عليّ[١٢٥]: ثم اتّفق[١٢٦] أَنْ دَخَلْتُ البستانَ المذكور في أوّل البَهار، فكتبتُ إلى أَبي بكر الكُتندي رحمه الله: [من مخلّع البسيط]

يا مُولَعًا بالبَهارِ زُرْنَا فَرَوْضُنَا زارَهُ البَهارُ

(١٢١) في أَعلام مالقة: ((عزّة تشرين)) وفي أدباء مالقة: ((غرّة تشريق)) وقرأتُها: ((غُرّة تشرين)) وجديرٌ أن يكون تشرين الثاني (نوفمبر). يقول: إنّ نبتة البهار أَزْهرت مبكرّة عن وقتها في غرّة (أَوّل) شهر تشرين. وذلك مُستغرب ومن حَقّها أن يُحتفى بها ((يُشرب على ظهورها...)).

(١٢٢) في أعلام مالقة، وأدباء مالقة هكذا ((أَبْدى فما خدّه البَهار)) وضبطه في الأعلام: ((أبدى فمًا خَدُّه البهار)) وفي الأُدباء: ((أبدى فما خَدَّه البهار)). وتحت الضبطين والقراءتين نظر. والكلام غير واضح. ويقربُ أن يكون المراد:

((أبدى لنا خدّه البهار))

(١٢٣) الشّرب (بكسر الشّين): مَوْرد الماء. يُريد الجَدْول. وشَبَّهه في لمعانه تحت أشعة الشمس بالسَّيف. والشِّفار جمع الشفرة: ما عُرِّضَ وحُدِّدَ من الحديد كَحَدِّ السّيف والسكين وغيرها. وتُطلق على السّيف اتساعًا.

(١٢٤) الوسميّة مؤنثة الوسميّ: مطر الرّبيع الأوّل. والهَمُوع: مبالغة في الهامع، والسّحابُ الهَمِعُ: الماطر. وتُستعمل المادة اللغوية (ه م ع) للدّمع والماء (كالمطر والطَّلّ...).

(١٢٥) أبو علي بن كسرى، وقد تقدّم.

(١٢٦) مايجري مصادفة دون إعداد، أو موعدٍ سابق، يُقال فيه: اتّفق اتفاقًا.

وانْشَطْ إلى قَهْوَةٍ أَرَتْنا شَمْسَ نَهارٍ؛ ولا نَهارُ[١٢٧]
في رَوْضةٍ إنْ حَلَلْتَ فيها حَلَّ بِهَا الأُنسُ والوَقَارُ!
باكِرْ أَبَا بَكرٍ المِفَدّى كأسًا وزَهْرًا لهُ ابْتِكَارُ[١٢٨]
راقَ سَنَاهُ العُيُونَ لَمّا واسَطَ مُبْيضَّهُ اصْفِرَارُ[١٢٩]
كأَنَّهُ كأسُنَا المِدَارُ فَذَا زُجَاجٌ وذَا عُقَارُ
يَبْسِمُ ثَغْرُ الرِّياضِ مِنْهُ عَنْ صُرَّةٍ حَشْوُها نُضَارُ![١٣٠]

قال أبو عليّ: فلم أَلْبَثْ إلاّ يسيرًا حتّى سمعتُ صوته وهو يقول:

(١٢٧) في أقاويل الشعراء وعلى سبيل التّعبير الأدبي: أنّ للقهوة (الخمرة) إشعاعًا وإنارةً.
– وقد سَمّى العربُ الخَمْرَة قهوةً لأنّها تُقْهِي (تَصْرِفُ وتَصُدّ) عن الطّعام. ومن هنا سَمَّوا البُنّ وشرابَهُ قهوة.
– (يُنظر كتابنا «معجم المآكل الشامية» من سلسلة الموسوعة الشامية).

(١٢٨) باكِرْ: طلب (أَمر) من المجيء في وقت البُكور. وكانُوا في مجالسهم يُبَكّرون في شأن الصَّبُوح. و «زهر له ابتكار» الكلام على زَهرة البَهار التي تفتّحت قبل أَوانها في البستان المذكور.

(١٢٩) في المطبوعتين: «وَاسَطَ» والمرَاد: تَوسَّط، ويُقال في اللغة: توسّط الشيءَ: صار في وسطه. ويُقال أيضًا وَسَّطه: جعله في الوسط. وأقترح أن تُقرأ «وَسَّط».
– قلت: ولم أجد (واسَطَ)، ولا يَسْتدعيه التَّوليد؛ لأنّ مراد الشاعر وصف هذه الزّهرة من جهتي شكلها ولونها فـ: وسطها أصفر وأطرافها بِيض. وفي الموسوعة في علوم الطبيعة (٣: ١٦٧١– ١٦٧٢) تحت عنوان: نَرْجِس الشّعراء: «ضروبه كثيرة العدد. أَوراقهُ قدّية مُستطيلة، شِمراخهُ الزّهري يعلو من ٣٠ إلى ٥٠(سم) ينتهي بزهرة وحيدة كبيرة القدّ عطريّة الرائحة بيضاء اللّون ترتكز على تُوَيج أصفر القالب أحمر الأطراف يُنَوّر في فصل الربيع».

(١٣٠) في أعلام مالقة: «عن دُرر حشوها...» وفي أُدباء مالقة: «عن صُرّة». وهذه أكثر مناسبة؛ بقرينة حشوها. والنّضار: الذّهب الخالص (وهو أصفر، يشبه تُوَيْج البَهارة).

[من مخلع البسيط]

ها أنا بالبَابِ عَبْدُ رِقٍّ أَدَّبَهُ خُلْقُكَ [البَهارُ] (١٣١)

[١٠]

قال ابن سعيد الأَديب الشّاعر المؤرّخ في ترجمة الكُتندي(١٣٢):

كان أَهل غَرنَاطة يَسْتَحسنون له قوله في مطلع قصيدة رثى بها عُثمان ابنَ عَبْدِ المؤمن ملكها: [من الرَّمَل]

(١٣١) في المطبوعين: «أَدَّبَهُ خلفك الهَنِيُّ» والهَنِيء: السّائغ والطيّب (من الطّعام ونحوه) ولا معنى له هنا. وهو لا يوافق قافية الأبيات السابقة.

– قلت: يظهرُ لي أَنَّ في الكلمة تحريفًا، وصوابُها عندي: «البَهار». ووضع هذه الكلمة في قافية البيت من الشاعر مناسبٌ جدًّا. فالكلمة موافقةٌ لرويّ الشعر الذي بدأه هو. ومعنى البَهار هنا: «كلّ شيء حَسَن مُنير». فهو يُثني على أبي عليّ صاحبه ويقول له: أنا عند أمرك وطلبك، عبدٌ مطيع مؤدّب: أدَّبه خُلقك الحسَن! وفي الكلام دعابة.

– و «الخلق» وردت ساكنة اللاّم، ويصحّ ذلك فيها: يُقال: خُلُق وخُلْق.

(١٣٢) في المغرب في حُلى المغرب ٢: ٢٦٤؛ ورايات المبرّزين: ١٥٧.

– وراوي الخبر هو عليّ بن موسى بن سعيد المشْهُور في المشرق بابن سعيد المغربي (٦١٠– ٦٨٥). خرج عن الأندلس مع أبيه لأَداءِ فريضة الحج، وتعرَّف إلى العلماءِ والأدباء في بعض بلاد المغرب والمشرق. ووصل إلى الأمراء والكبراء، واستفادَ وأفاد. واستقرّ بتونس إلى وفاته. يُعَدّ ابن سعيد في الأدباء والمؤلفين والشعراء. وأَسهم في تعريف المشارقة بالكثير من النِّتاج الأندلسي. ومن آثاره الباقية الكتابان المذكوران في صدر الترجمة وكتب أُخرى طُبع بعضها في نصف القرن الماضي (انظر مقدمة د. شوقي ضيف لكتاب المغرب؛ وكتاب: ابن سعيد الأندلسي: حياته وتراثه الفكري والأدبي لمحسن حامد العيّادي، طبع مكتبة النهضة المصرية، ونشر الدّار التّونسية للنشر بتونس. دون تاريخ). ومقدّمتي على تحقيق كتاب رايات المبرّزين (طبع دار طلاس – دمشق).

يَذْهَبُ المُلْكُ ويَبْقى الأَثَرُ هذِهِ الهَالَةُ أَيْنَ القَمَرُ؟[١٣٣]

[١١]

قال أَبُو عَلِيّ بنُ كسرى[١٣٤]: كنتُ في أحَدِ الأيّام فارقْتُ الأديب أَبا بكر الكُتندي على أن أجْتَمِعَ معه عَشِيَّ ذلك اليوم في البُستان المذكور[١٣٥]؛ ثم اتّفقَ أَنْ خرجتُ مع جُملة أَصْحَاب، وتركتُ أَبا بكر المذكور، فأُعْلِمَ بِمُجْتَمَعِنَا، فكتَبَ إليَّ: [من مخلّع البسيط]

يا مُولِمًا قَدْ أَلام لَمّا لم يثن نَدْبًا إلى مَزارِهْ[١٣٦]
جُدْتُ له من فَمِي بِمُزْنٍ وضَنَّ بالرَّشْفِ مِنْ قَرارِهْ[١٣٧]

(١٣٣) الهالة: دارَةُ القَمر، أو دائرةٌ من الضّوء تُحيط بجرمٍ سماويّ. (الوسيط). – وعثمان – المرْثِيّ – هو أَحد ولاة مدينة غَرْنَاطة وكورتها، أَيّام دولة الموحّدين. وهو ابن أوّل ((خلفائهم)) عبد المؤمن بن علي (بويع بالخلافة سنة (٥٢٦)، وسيطر على مُلك دولة المرابطين في الأندلس والمغرب، ووسّع دائرة نفوذه في إفريقية، ووصل إلى طرابلس (الغرب). توفي سنة (٥٥٨).

(١٣٤) الخبر في أَعلام مالقة (١٠٨– ١٠٩) وأدباء مالقة (٨٩).

(١٣٥) بستان أبي عمران موسى بن رزق، من مجموعتهم. وله ذِكرٌ في هذا المجموع.

(١٣٦) مُولم من فِعْل: أَوْلم: عمل وليمة، و ((ألام)): أي أتى بما يُلام عليه.

– واخترتُ في الشطر الثاني قراءة أ. المنوني رحمه الله كما أثبتها محقق: أعلام مالقة.

– ويكون ((لم يثن)) من ثناه صار له ثانيًا. كأنّه قال: لم يَدْعُ...

– والنّدْب: الظّريف النجيب.

(١٣٧) قُرئ في البيت: ((من دمي)) و: ((من فمي)). واخترت: ((من فمي)) لملاءمتها الكلام.= =– والقرار: المكان المنخفض يجتمعُ فيه الماء. والمفارقة ظاهرة بين الشاعر الكتندي الذي يبذل لصاحبه كما تجود المزن، في حين يبخل ذلك الصاح بالرشفة من ماء في قاع القرارة. والمزن

جَنَّتُهُ أُزْلِفَتْ لِغَيْرِي وبُرِّزَتْ لي جَحِيْمُ نارِهْ! (١٣٨)

قال أبو علي فلما قرأتُ البطاقةَ خجلتُ وخَجِلَ مَنْ كان معي من الفتيان؛ فكتبتُ إليه:

يا لائمًا قد أَلامَ لما أَجْرَيْتُ فِعْلي عَلَى اختيارِهْ(١٣٩)
فَرَّقَ ما بَيْنَنا اجْتِمَاعٌ أَشْفَقْتُ مِنْهُ عَلى وقارِهْ
لما اضْطُرِرْنَا لَهُ، ولكنْ: لا عُذْرَ للمَرْءِ في اضطرارِهْ!!

[١٢]

كتَب أبو بكر الكُتندي(١٤٠) إلى أبي عَبْدِ الله مُحَمّد بن غَالب الرُّصافي(١٤١): [من الطويل]

(واحِدُه: مزنة) السّحاب يحمل الماء.

(١٣٨) في أعلام مالقة: ((وبَرَزتْ لي...)) وفي أدباء مالقة: ((وبرزت في)) وقرأته على مايقتضي المعنى. وفي البيت اقتباس قرآني. في سورة الشعراء (٩٠- ٩١) ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ. وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾.

(١٣٩) يعتذر له بأنّه إنّما فعل ذلك على ما يَظُنّ: أنَّ الكُتَنْدِيّ سيختاره، لأنّ اجتماعه الذي لم يَدْعُهُ إليه، كان مع فتيانٍ لا يليقُ اجتماعهم بِوَقاره. ويعتذر ثانيةً بأنّه، وإن كانَ مُضطرًا إلى ذلك التصرّف، قليل العُذر في ما فعل!..

- فهذا عُذْرٌ على عُذر!

(١٤٠) النصّ وجوابه في أعلام مالقة (٩٩- ١٠٠) وأدباء مالقة (٧٦- ٧٨). وانظر ديوان الرصافي (١٠٣- ١٠٤).

(١٤١) وهو المشهور بالرُّصافي البَلَنْسِي (توفي: ٥٧٢) أصلُه من رُصافة بلنسية وُلد فيها= =ونشأ بها. وهو أبو عبد الله محمد بن غالب. خرج من بلده صغيرًا مع أبيه وكان يحترف الرَّفْو، وورّث ابنه صنعته هذه. واستقرّت الأُسرة في مالقة. جال الرصافي البلنسي في

أَعِنْدَكُمُ يا ساكِنِي الوُدِّ أنّكُمْ بِمَرْأًى على بُعْدِ المسافَةِ مِن حِمْصِ؟[١٤٢]
أَتَقْضِي اللّيالي أَن تُلِمّ بِمَنْزِلٍ أَلِفْناهُ ما بَيْنَ الأراكةِ والدِّعْصِ[١٤٣]
وإنّي حَرِيصٌ أَنْ يَعُودَ بما مَضى زَمانٌ، وما حِرْصُ المقادِيْرِ من حِرْصِي[١٤٤]

فجاوبه رحمه الله: [على الوزن والرّوي]

سَلامٌ أَبا بكر عَلَيْكَ ورَحْمَةٌ تحيّة صِدْقٍ مِنْ أَخٍ لَكَ مُخْتَصِّ
لَعَمْرِي وَما أدري بِصَدْعِ زُجَاجَةٍ عَليكَ، فقدْ تُدْنِي اللَّيالِي كما تُقْصِي[١٤٥]
لقد بانَ عنّي يَوْمَ وَدَّعْتُ صاحبًا بريءَ أَساليبِ الودادِ من النّقْصِ

الأندلس والمغرب، وبقيت مالقة مركزه. برع في الشعر ومَدَح دون ابتذال لنفسه. وصحب عددًا من الأُدباء والشّعراء وكانت له معهم ندواتٌ ومجالس. وكان له ديوان شعر مرويّ عنه. وجمع د. إحسان عباس ما بقي من شعره في ديوان (انظر المغرب (٢/ ٣٤٢)، والتكملة (مصر) (٥٢٠) والنفح (٤/ ١٥٩) والمقتضب من تحفة القادم(٧٥)، وأعلام مالقة (٣) وأدباء مالقة: (٦٨). وانظر مقدمة د. إحسان عباس لديوان الرّصافي وسائر مصادره ومراجعه).

(١٤٢) في أعلام مالقة: المسافات. والوزن يجري على القراءتين.

– وحمص المذكورة هنا هي إشبيلية. سُمّيت باسم حمص منذ أُنزل فيها جند حمص أَوائل القرن الهجري الثالث. وسُمّيت غرناطة باسم دمشق الأندلس، إلى مواضع أُخرى هناك.

(١٤٣) الأراكة واحدة الأَراك (شَجر المسواك) نباتٌ شُجَيري من الفَصيلة الأَراكيّة، والأَراكُ أيضًا شجر مجتمعٌ يُستظل به. وأُطلق اسم الأَراكة على مواضع كثيرة، وكذا الأَراك. والدِّعْصُ: قطعة من الرمل مُستديرة.

(١٤٤) في أدباء مالقة: من حرص. والأَولى روايةُ: «حِرْصي».

(١٤٥) في أعلام مالقة: لما نقصي. تحريف.

أَقُول لِنَفْسِي يَوْمَ طارَتْ بِكَ النّوى أَخُوكِ، فَرِيْشِي مِنْ جَنَاحِكِ أَو قُصّي[١٤٦]
فباتَتْ على ظَهْرِ النّزوع إِليكُمُ تطيرُ بما في الوَكْرِ أجْنِحَةُ الحِرْصِ
إلى كم – أبا بكرٍ – نَحُومُ بأَنْفُسٍ ظِماءٍ إلى عَهْدِ الأُجَيْرِعِ أَو حِمْصِ؟[١٤٧]
كأَنْ لم تَزُرْ تلك الرُّبا وكأَنَّها عَرائِسُ تُزْهى بالمواشِيطِ لا القصِّ[١٤٨]
ولا رَنّقَتْ تلكَ الأَراكةُ فَوْقَنا فَلَوَّتْ إِزارَ الظّلّ في كَفَلِ الدِّعْصِ[١٤٩]
وكانَتْ لنَا في ما هُناكَ مآرِبٌ تُطيعُ الهوَى العُذْريّ فِينَا ولا تَعْصِي[١٥٠]
لياليَنَا بالرّيِّ والعَيْشُ صالحٌ وظلّكِ عَنْها غيرُ مُنتقلِ الشَّخْصِ
وما ذِكْرُهَا لولا شَفا من عُلالَةٍ تَتَبَّعُها نَفْسي تَتَبُّعَ مُسْتَقْصِ[١٥١]

(١٤٦) في أدباء مالقة: فرشني.

(١٤٧) الأُجَيرِع تصغير الأَجْرِع. والأَجْرَعُ: الأرض ذات الحزُونة (قاسية) تشاكل الرّمل. – وحمص: هي إشبيلية.

(١٤٨) في أدباء مالقة: ((تزهاها المواشط لا نصّ)) هكذا.

- وفي الديوان: ترعاها.
- وفي النسخ: تزر (بخطاب المذكر). ولعلّها: نَزُرْ (بجمع المتكلم).
- وفي اللّغة: المِشط وجمعه: أمشاط. والمِمْشط أيضًا المشط، وجمعه: مماشط. أمّا المواشِط فجمع ((ماشطة)) وهي التي تزيّن الشعر وتحسّن المرأة. ووجه الكلام على المشط الذي كان يزيَّن به الشعر بعد تمشيطه.

(١٤٩) في أدباء مالقة: ((بلوث إزار الظل)). ولها وَجْهٌ ظاهر.

– الدِّعْصُ: قطعةٌ من الرّمل مستديرة، أَقَلّ من الحِقْف، والكثيبُ: المجتمع من الرَّمْل. ويشبّه به بعض جسم المرأة.

(١٥٠) في أعلام مالقة: نُطيع الهوى ... ولا نعصي.

(١٥١) في أعلام مالقة: شِفا بكسر الشين. – والشّفا: القليلُ من الشيء.

وَدِدْتُ أَبا بكر لَوَ انِّيَ عالِمٌ وللكونِ زَنْدٌ ليس يُقْدَحُ بالحِرْصِ[١٥٢]
هَل الغَيْبُ يَوْمًا فارِجٌ لي بابَهُ فأنظرَ منهُ كيفَ أُنْسُكَ في حِمْصِ[١٥٣]
بأزْرَقَ سلاّل الحُسَام وقد بدَا يُدَاعبُ في كأسٍ تَحَرَّكَ للرّقْصِ
وما مِعْصَمٌ ريّانُ دارَ سِوَارُهُ على مِثْلِ ماءِ الدُّرِّ في بَشَرٍ رَخْصِ
بأبْهَجَ منهُ في العيُونِ إذا بَدا ولا سيّما والشمسُ جانِحَةُ القُرْصِ
خليجٌ كخيطِ الفَجْرِ ينجرُّ فَوْقَهُ ذيولُ عَشيّاتٍ مُزَخْرَفَة القُمْصِ!

[١٣]

قال أبو الحسن علي بن محمد الرُّعيني الإشبيليّ (٥٩٢ – ٦٦٦) في برنامجه[١٥٤]، (برنامج شيوخ الرّعيني: ٦٥– ٦٦): أنشدني أبو القاسم محمد بن

(١٥٢) الزَّنْد: العُود (الأعلى) الذي تُقْدَحُ به النار، والأسفل هو الزَّندة. كان في جُملة ماتُقتدح به النار أنواع من الخشب، وأَشهرها المرْخ والعُفار.

(١٥٣) في أُدباء مالقة: فارجًا (عن الأصل).

– وفي الدّيوان: مفرجًا.

(١٥٤) برنامج شُيوخ الرُّعَيْنِيّ (٦٥– ٦٦).

– والأبيات ستة، في هذا البرنامج، وفي التكملة لابن الأبار (مصر): ٥٣٥ وزاد المسافر (الطبعة الثانية): (٩٥)، والذيل والتكملة (٦/ ٣٥٠)،

– وهي خمسة أبيات (بإغفال السادس) في أعلام مالقة (١٠٧) (وأدباء مالقة: ٨٧)، ولم يشر المحققّان إلى البيت الناقص.

– وأورد المقَّريّ في نفح الطيب (٣/ ٥٠٦) البيتين(١ و ٣)؛ ونسبهما إلى ابن برّاق، ثم أورد (٦/ ٢٦٨، ٢٦٩) الأبيات الستة دون نسبة. =

=قلت: الشعر ثابت النسبة إلى الكتندي بتسجيل أصحاب الشاعر ومعاصريه مشافهةً وروايةً.

سليمان المقرئ صاحبنا رحمه الله، قال: أنشدني أبو القاسم بن عبد الواحد هذا صاحبنا رحمه الله (يعني محمد بن عبد الواحد الغافقي الذي كان يترجم له، والمشهور بالملاّحي) قال: أنشدني الأديب أبو بكر الكتندي صاحبنا رحمه الله لنفسه: [من مخلّع البسيط]

١- ياسَرْحةَ الحَيِّ يا مَطُولُ شَرْحُ الذي بيننا يطولُ(١٥٥)
٢-عندي مَقالٌ فَهلْ مَقَامٌ تُصْغِيْنَ فيه لما أقولُ؟
٣- ولي دُيونٌ عَلَيْكِ حَلَّتْ لَوْ أَنّهُ يَنْفَعُ الحلُولُ! (١٥٦)
٤- ماضٍ من العَيْشِ كان فيهِ مَلْبَسَنا ظِلُّكِ الظَّلِيْلُ(١٥٧)
٥- زال وماذا عليكِ ماذا يا سَرْحُ لو لم يكنْ يَزُول؟(١٥٨)
٦- حَيّا عَنِ المِدْنَفِ المعَنّى مَنْبِتَكِ القَطْرُ والقَبُولُ(١٥٩)

(١٥٥) السّرحة (والجَمْعُ سَرْح) تُقال لكلّ شجر عِظام: طِوَال.

- وفي الموسوعة في علوم الطبيعة: ١: ١ (تحت اسم الآءة، والسّرحة) أنها ((جنس نباتات برّية وزراعية، تزيينيّة من فصيلة الجناحيّات: أنواعه عديدة... وجميعُها شُجَيرات وجَنْبات دائمة الأوراق... أوراقها وحملها تصلح للدباغة...)).
- قلت: ظاهر أن الشاعر يذكر شجرة كبيرة كانت في ذلك الحيّ، وهي شجرة معمّرة عاصرت طفولة الشاعر وصباه وشبابه، وهي ما تزال قائمة ثابتة...

(١٥٦) حلّ الدين حلولاً: وجَب أداؤه، آن أوان أدائه.

(١٥٧) ظِلٌّ ظليل: دائم.

(١٥٨) يا سَرْحُ: نداء للسّرحة، وخفّف الكلام بحذف التّاء (التَّرخِيمْ) فيقرأ القارئ بضم الحاء (على لغة من لاينتظر عودة التاء إلى الكلام) وبالفتح على توقّع التّاء وانتظار لحاقها بالكلمة (لغة من ينتظر).

(١٥٩) المِدْنف من فعل دَنِفَ المريض: اشتدّ مرضه، وأشفى على الموْت. والمعنّى؛ من فِعْل

[١٤]

في أخبار أَبي الحسَن بن نزار[١٦٠] أنَّه نَزَلَ يومًا مع أبي جعفر بن سعيد والكتندي الشّاعر، في جَنّةٍ بزاوية غرناطة، وفيها صِهْريجُ ماء قَدْ أحْدَق بها شَجرُ نارنج وليمون وغير ذلك من الأشجار، وعليه أُنبوب ماءٍ تتحركُ به صورةُ جاريةٍ

عَنّاهُ: كلّفه ما يَشقّ عليه ويَصْعُب.

- ويكثر أن يوصف العاشق بالمِدْنف!..
- والقَطْرُ: المطر.
- يدعو الشاعر للسرحة بالخير؛ والدّعاء بالسُّقيا عند العرب يُقال أيضًا في مطلق الخير (الدعاء بالخير والتذكّر بالخير).

في الرواية: ٣- في التكملة: ((تنفع الحلول)) وهو تصحيف.

٤- في زاد المسافر والذيل والتكملة والنفح: (منزلنا ظلّك...).

٥- في أدباء مالقة والذيل والتكملة: عليه ماذا.

٥- في أدباء مالقة ((لو لم يكن يؤول)) كذا، وفيه تحريف.

٥- في الذيل والتكملة ((لو لم يكن نزول)) هكذا، وهو تحريف.

(١٦٠) أبو الحسن بن نزار من بيوتات وادي آش من شُعرَاء النصف الأوّل من المئة السّادسة. سكن غرناطة وتنقَّل بينها وبين وادي آش. وذكر المقَّري فيما نقله في النفح أن أبا الحسن اغتنم فرصة اضطراب الأمر على المرابطين ودَعا لنفسه في بلدته. واتّصل أهل المدينة بابن مردنيش أحد المتَوثّبين بشرقيّ الأندلس فأرسل من اعتقله وسجنه وألغى استقلاله بوادي آش. ثم أطلقه في خبر طويل. وقد ذكر محمد عبد الله عنان دخول ابن مردنيش وادي آش سنة ٥٤٦ ولم يورد خبر أبي الحسن بن نزار المذكور.

- وكان أبو الحسن شاعرًا كاتبًا وشاحًا أديبًا.

انظر المغرب (٢/ ١٤٧) ونفح الطيب (٣/ ٤٩٢- ٤٩٩) ومواضع أخرى، ودولة الإسلام في الأندلس – العصر الثالث – القسم الأول (٣٢٠) لمحمد عبد الله عنان.

راقصةٍ بسيوفٍ وطيفورِ رُخامٍ يصنع في أُنبوبةَ الماءِ صورةَ خِباء؛ فقالوا: نقتسم هذه الأوصاف الثلاثة. فقال أبو جعفر يصف الرّاقصة: [من الطويل]

وراقصةٍ لَيْسَت تَحَرَّكُ دون أَنْ ... يُحَرِّكَها سَيْفٌ من الماءِ مُصْلَتُ
يدورُ بها كُرْهًا فَتُنْضى صَوارِمًا ... عليهِ فلا تَعْيَا ولا هُوَ يُبْهَتُ
إذا هِيَ دارَتْ سرعةً خلْتَ أَنّها ... إلى كُلِّ وَجْهٍ في الرِّياضِ تَلَفَّتُ

وقال ابن نزار في خباء الماء[١٦١]: [من الطويل]

رَأيتُ خِباءَ الماءِ تُرْسِلُ ماءها ... فنازَعَها هَبُّ الرّياحِ رداءَها
تطاوِعُه طَوْرًا وتعصِيهِ تارةً ... كراقِصَةٍ حَلَّتْ وضَمّت قباءَها
وقد قابلَتْ خيرَ الأنامِ فلَمْ تزَلْ ... لديهِ من العَلْياءِ تُبدي حَياءَها
إذا أَرْسَلت جَوْدًا أَمامَ يمينهِ ... أبَى العَدْلُ إلاّ أَنْ يَرُدّ إباءَها

وقال الكُتندي: [من الوافر]

وصِهْرِيجٍ تخالُ به لُجَيْنًا ... يُذَابُ وقد يُذَهِّبُهُ الأَصِيلُ[١٦٢]
كأنَّ الرَّوْضَ يَعْشَقُه فَمِنْهُ ... على أَرْجائِهِ ظِلٌّ ظَلِيْلُ

(١٦١) في النّفح (٣/ ٤٩٧) في أبيات أبي الحسن: «قيل إنّ لهذه الأبيات صَنعها بمحضر الأمير أبي عبد الله بن مردنيش ملك شرقيّ الأندلس؛ وإنه لما ألجأته الضّرورة أن يرتجل في مثل ذلك شيئًا، وكانت هذه عنده مُعَدّةً فزعم أنّه ارتجلها. قال أبو عمرو بن سعيد: وهذا هو الصّحيح، فإنّه ماكانت عادَتُهُ أن يخاطب عمّي أبا جعفر بـ «خير الأنام» فإنّ كل واحد منهما كفؤ الآخر».

(١٦٢) اللجين: الفضة.

وتَمْنَحهُ أَكفُّ الشّمسِ عِشْقًا دنانيرًا فمِنهُ لَها قَبُولُ[١٦٣]
إذا رفعَ النَّسِيْمُ القضبَ عَنْها فحينئذٍ يكونُ لَها سَبِيلُ
وللنّارَنْجِ تحتَ الماءِ لما تبدّى عَكْسُها جَمْرٌ بليلُ[١٦٤]
وللّيمونِ فيه دونَ سَبْكٍ جَلاجِلُ زُخرفٍ بِصبًا تَجُولُ[١٦٥]
فيا رَوْضًا به صُقِلَت جُفوني وأرهفَ مَتْنَهُ الزّهرُ الكليلُ
تناثَر فيك أَسلاكُ الغَوادي وقَبَّل صَفْحَ جَدْوَلِكَ القَبُولُ
ولا بَرِحَتْ تُجمِّعُ فيكَ شَمْلاً من الأَكياسِ والكاسِ الشّمُولُ[١٦٦]
بُدورٌ تستديرُ بِهَا نجومٌ معَ الإصباح ليسَ لها أُفولُ
يهيمُ بِهِمْ نسيمُ الرّوضِ إلفًا فَمِنْ وَجْدٍ لَهُ جِسْمٌ عليلُ

[١٥]

قال في كتاب: أعلام مالقة[١٦٧]:

وحَدّثني الأديبُ أبو عمرو قال: أنشدنا أبو الحسن الوَقَّشِي[١٦٨]، قال:

(١٦٣) أي: من العشق؛ بسببه. ونَوّن دنانير ضرورةً. والبيت من قول أبي الطيب المتنبي في أبياته في شعب بوّان (ديوانه – البيتان – ٤/ ٢٥٢- ٢٥٣). يصف الشّعب وأشجاره نهارًا وهو يسير بالخيل فيه:

غَدَوْنا تنفضُ الأَغْصَانُ فيهِ على أَعرافها مثل الجُمَانِ
فسرتُ وقد حَجَبْنَ الشمس عني وجئن من الضياء بما كفاني
وألقى الشرقُ منها في ثيابي دنانيرًا تفرّ من البَنانِ

(١٦٤) شبّه النّارنج (وهو أحمر) بالجَمْر (لكنّه لايُحْرِق).

(١٦٥)الجَلاجل جمع جُلجل: الجرَس.

(١٦٦) الأكياس جمع كَيِّس: صفة حَسَنة في الإنسان؛ أراد أَصحاب المخاطب.

(١٦٧) أعلام مالقة (١٠٩)، وأُدَباء مالقة (٨٩).

أنشدنا أبو بكر الكُتندي، وأَمَر أن تُكتب على قبره، رحمه الله: [من المديد]

حَيِّ قَبْرًا بالبَقِيْعِ حَوى ذا اغْتِرَابٍ حَطّ أَرْحُلَهُ[١٦٩]
جَدّ في تَسْيارِهِ وَجَرى طَلَقًا ماشاءَ طَوَّلَهُ[١٧٠]
فهو قَد أَلقى عَصَاهُ ولم يَدَّخِرْ إلاّ تَوَكُّلَهُ

[١٦]

في ترجمة[١٧١] نزهة بنت القُليعي أنّها كانت أديبة شاعرة سريعة الجواب صاحبة فُكَاهة ودُعَابة. أَخذت عن أبي بكر المخزومي الأعمى. وكانت يومًا تقرأ عليه فدخلَ إليه أبو بكر الكُتندي، فقال يخاطبُ المخزوميّ: [من الكامل]

---

(١٦٨) وَقّش: بلدة أندلسية من أعمال طليطلة (من وسط الأندلس) نُسِب إليها عدد من العلماء والفقهاء والأدباء.

(١٦٩) البقيع في اللّغة: المكان المتّسع فيه أشجارٌ مختلفة، واختصّ بمقبرة أهل المدينة. واستعمله الشاعر لمعنى المقبرة عامّة. ويبدو أنَّ الأندلسيّن استعملوا هذه الكلمة لمعنى المقبرة مطلقًا. وفي الإحاطة (٤/ ٤٠٠) في شعر أبي زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي:

إذا متّ فادفنّي حِذَاءَ حَليلتي يُخَالِطُ عَظْمي في التّراب عِظَامَها
ولا تدفنّني في البَقِيعِ فإنّني أريدُ إلى يومِ الحسابِ التزامَها

(والحليلة بالحاء المهملة: الزّوجة).

(١٧٠) في أعلام مالقة: أطوله.

(١٧١) الخبر في ترجمة نَزْهون في الذّيل والتكملة (٢/ ٤٩٣). ويُقال في اسمها: نزهون، ونزهة؛ نفح الطيب (٤/ ٢٩٥)، والمقتضب من تحفة القادم (١٦٤) والمغرب (٢/ ١٢١)، والإحاطة (١/ ٣٤٤)، ونزهة الجلساء (٩٧)، والدرّ المنثور (٥١٩)، ورايات المبرّزين (١٥٩).

– وكانت وفاة نزهون نحو سنة ٥٥٠.

لو كُنْتَ تُبْصِرُ مَنْ تُجَالِسُهُ[١٧٢]

فقالت نزهون[١٧٣]:

لَغَدَوِتْ أَخْرَسَ من
البَدْرُ يَطْلُعُ من أَزِرَّتِهِ والغُصْنُ يَمْرَحُ في غَلائِلِهِ[١٧٤]

[١٧]

قال الفقيه[١٧٥] أبو عمرو بن سالم (سالم بن صالح الهمداني)[١٧٦]، حَدّثني

(١٧٢) كذا في الذّيل والتكملة.. والنّفح.
- وروي: «مَنْ تكلّمه» كما في المغرب ٢: ١٢١؛ والإحاطة ١: ٣٤٤- ٣٤٥ ورفع الحجب المستورة ٢: ٨٧٣.
- وبين البيتين فيه: «ثمّ زادت».

(١٧٣) في النفح أنّ المخزومي لما أنشده الكُتَنْدي الشّطر المذكور «أُفْحِمَ وأَطالَ الفِكر فما وجَد شيئًا» أي أُرْتِجَ عليه، ولم تُتِحْ له بديهتُه إجازةَ الشّطر بما يناسب؛ «فقالت نزهون...» الخبر.
- المعنى: لو كنت تبصر هذه الفتاة الجميلة التي أمامك لَبَهتك جمالها (أَصابتك الدّهشة) وصمَتّ، وكنتَ أكثر سكوتًا من خلاخلها. وسُكوت الخلخال في ساق الفتاة كناية عن شيء من الاكتناز كانوا يُفَضّلونه. ثم زادت من ملامح الجمال بِجَعْل الفتاة في حُسن البدر وإشراقه، ورشاقة غصن البان واعتداله.
- ومراد العبارة لَغَدَوْتَ أكثَر خَرسًا...

(١٧٤) «أَزرّة» كذ في النصّ. وفي اللغة يُجمع الزرّ على أزرار وزُرور.
- والمعنى إن البدر في ثيابها (نوع من الكناية عن أنّها جميلة كالبدر).
والغَلائل جمع الغِلالة: ثوب رقيقٌ يُلبس تحت الدّثار. شبهها بالغصن كما سبق في الحاشية (١٧٤).

(١٧٥) الخبر في أعلام مالقة ٣٠٤- ٣٠٥ وأُدباء مالقة ٣١٤- ٣١٥ في ترجمة ابن فرجون القيسي.

(١٧٦) من العُلَماء والمحدّثين والشعراء. له ترجمة في أعلام مالقة (٣٠٤)، وأدباء مالقة (٣١٤).

أبو الحسن علي بن فَرَجُون القيسي نزيل مالقَة أنّه حضَر بمالقة سنة إحدى وستّين وخمسمئة مع الأديب الكاتب أبي بكر الكُتندي عند بعض الأكابر، وبين أيدينا لوحٌ ومِحْبَرة. قال أبو الحسن فأخذت اللّوح والقَلم وكتبتُ فيه: [من الكامل]

يا ذا الّذي مَلكَ المحاسِنَ كُلّها

فجاوَبَهُ أبو بكر الكُتندي، وزاد عليه:

وحَوى جميعُ العالمين أَقَلَّها

فقلت أنا:

الدّهرُ إن قابَلْتَهُ مُتَجَهِّمًا(١٧٧)

فزاد أبو بكر:

أبكيتَ كُثْرَ الحادثاتِ وقُلَّها

فقلت أنا:

والسَّيْفُ يَفْخَرُ أَنْ تمسَّ رِئاسَهُ(١٧٨)

فقال أبو بكر:

وتَرُدَّ شَفْرَتُهُ الصقيلةُ سَلَّها(١٧٩)

قال أبو الحسن: ثم جاء الإذنُ من الطّالب الذي كان يَسْتَكْتِبُهُ وهَض، رحمه

(١٧٧) في المِطْبُوعَيْن: ((قابلته متبسّمًا)) وفي حاشية أُدباء مالقة: ((هذه الكلمة يمكن قراءتها متبسّمًا ويمكن قراءتها متجهّمًا)). واخترْتُ هذه القراءة. لأنّ الشعر ثناء وإطراء. يقول له: إنّ كلّ شيءٍ حوله يتجاوبُ معه: يأسى لأَساه ويفرحُ لفرحه.

(١٧٨) رئاس السّيف: مقبضه وقائمه.

(١٧٩) هكذا ورد الشطر في أعلام مالقة، وهو أمثل. وفي أدباء مالقة: ((ويردّ..)).

الله. قال أبو الحسن: فبقيت الأَبياتُ في حفظي إلى أن دَخَلْتُ مدينة تَوْزَر(١٨٠)، فلقيتُ بها فتًى من أَهْلِ بلنسيةَ اسْمُه محمد الجمحي(١٨١)، ويُعرف بابن الشَّوَّاش، وكان عاقلاً أديبًا ظريفًا، فوقعَ ذكر الشعراء وأَهل البلاغة؛ فذكرتُ له الكُتندي وما جرى بيني وبينه، فعرفه، وأثنى عليه، واستحسَنَ الأبيات، فلمّا كان في الغَدِ أَخْرَج إليَّ الثلاثة الأبيات. وقد ذَيّل عليها أربعة أبيات، وهي هذه: [من الكامل]

البَحْرُ إنْ يُذكرْ نوَالُكَ غائضٌ والأُسْدُ تشكو عند سَطْوِكَ ذُلَّها(١٨٢)
والشّهبُ ترجُو أنْ تكونَ لديكمُ خَوَلاً تُصَرِّفُ بَعْضَها أو كُلّها(١٨٣)
والشّمسُ تقتبسُ السَّنا من نُوركم فانْظُرْ إِلَيْها مُفْضِلاً واتْذَنْ لها
جَلَّتْ عُلاكُمْ أَنْ يُحَاطَ بِوَصْفِهَا فالذّهنُ يَقْصُرُ أَنْ ينالَ مَحَلّها!

[١٨]

قدّم صاحب أعلام مالقة للنص بعبارة(١٨٤): «وله رحمة الله عليه»: [من البسيط]

إلى أبي القاسمِ المختارِ مِن مُضَرٍ [حَنّت له الجذع قبلي؛ فاز بالكرم](١٨٥)

(١٨٠) انظر في توزر: معجم البلدان (٢/ ٥٧– ٥٨) والرّوض المعطار (١٤٤– ١٤٥).

(١٨١) في أدباء مالقة: الحجمي.

(١٨٢) غاض الماء: نَزَل في الأرض وغاب فيها.

(١٨٣) الخَوَل: الأَتْبَاع والخَدَمُ والحشَم.

(١٨٤) أعلام مالقة (١٠٩) وأدباء مالقة (٨٩).

(١٨٥) هذه قراءة أعلام مالقة، وفي أدباء مالقة «حيث الجذع قبلي فاز بالكرم» وقال في الحاشية: كذا في الأصل، والبيت مكسور الوزن.

- وفي قراءة الشّطر الثاني المذكور نظر (في النصّين المطبوعين).
- ومعنى الشّطر واضح. فهو يذكر واحدةً من دلائل النبوّة: «حنين الجذع».

أَنامُ مِلءَ جُفوني لا يُمَثّلُ لي في نَوْمَةٍ فَكأنَّ العَيْنَ لم تَنَمِ![١٨٦]
فالنّفْسُ من يأسِهَا منكُمْ مُوَلَّهَةٌ ليسَتْ مِنَ الأَملِ الأَسْنى عَلى أَمَمِ[١٨٧]
كم رُمْتُهَا يا رَسُولَ اللهِ مَرْتَبَةً لو كنتُ آمُلُ أَنْ أَلْقَاكَ في الحُلُمِ

[١٩]

وقال[١٨٨]:

لأمْرٍ مّا بَكَيْتُ وهاجَ شوقي وقد سَجَعَتْ على الأيك الحَمامُ
لأنّ بياضها كبياضِ شيبي فمَعْنى شَدْوِها «قَرُبَ الحِمَامُ!»

روى البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٦٦) بإسناد رواه من حديث جابر «أنَّ رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأةٌ من الأنصار أو رجلٌ يا رسول الله: ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: إن شئتم فاجعلوه. فجعلوا له منبرًا. فلما كان يوم الجمعة ذهَب إلى المنبر فصاحت النّخلةُ صياح الصّبيّ، فنزل رسول الله ﷺ فضمّها إليه. كانت تئنّ أنين الصبيّ الذي تسكته. قال: كانت تبكي على ماكانت تسمع من الذكر عندها» قال. رواه البخاري في الصّحيح عن أبي نُعيم.

(١٨٦) يرجو أن يرى رسول الله ﷺ في منامه.

(١٨٧) الأَمَمُ: القُرْبُ، واليَسير القريب المتَناول. والمولّه: من وَلَّه الأَمْرُ: حَيّره وأذهب عقله.

(١٨٨) القطعة في أعلام مالقة (١٠٧)، وأدباء مالقة (٨٧)؛ والمطرب (٨٢) وزاد المسافر (٩٥)، وبغية الوعاة (١/ ١٥٥).

- وقدّم لها في «أعلام» و «أدباء» بعبارة: «قوله رحمه الله تعالى».
- ورواية المطرب:

لأمرٍ مّا أكابِدُ كلّ شوقٍ إذا سجَعَتْ على الأَيْكِ الحَمامُ
لأنّ بياضها كبياض شيبي فَمَعْنى سَجْعِهَا «قَرُبَ الحِمَامُ»!

- والحِمام من أسماء الموت.

[٢٠]

قال[١٨٩]: [من البسيط]

ولا كَتُفّاحةٍ حمراءَ هِمْتُ بِهَا إذْ أَصْبحَتْ خَدَّ مَنْ قَلْبِي مُتَيَّمُهُ[١٩٠]
سَمَتْ بها كَفُّه يومًا إلى فَمِهِ فَخِلْتُهُ البَدْرَ والمرِّيخُ يَلْثُمُهُ
أَو شاربًا كأسَ صهباءٍ مُعَتَّقَةٍ ولا حَباب سِوى أَنْ راقَ مَبْسِمُهُ

[٢١]

قال ابنُ سَعيد[١٩١] في التّقديم للقصيدة الآتية للكُتُنْدي بعبارة: «ومن مُسْتَعْذَبِ شِعره»: [من السّريع]

هذا لِسَانُ الدَّمْعِ يُمْلِي الغَرَامْ في صَفْحَةٍ أَثَّرَ فيها السَّقامْ
فهَلْ يُماري في الهَوى مُنْكِرٌ؟ والبَدْرُ لا يُنْكَرُ حِيْنَ التَّمامْ! [١٩٢]
عَهْدٌ لِهِنْدٍ لم يَكُنْ بالّذِي تَقْدَحُ فيه نَفَثاتُ المِلامْ[١٩٣]
يا نَهْرَ إشنيلٍ أَلاَ عَوْدَةٌ لِذلِكَ العَهْدِ ولو فِي المَنَامْ؟[١٩٤]

(١٨٩) القطعة في المطرب لابن دحية (٨٢).

(١٩٠) في التّقديم للقطعة قال ابن دحية: أنشدني هذا الوزيرُ لنفسه في تفاحة بيد غلام وسيم يأكلُها.

(١٩١) المغرب في حُلى المغرب (٢/ ٢٦٥).

– وورد البيتان (٤ و ٥) في رايات المبرّزين (١٥٨) وفيه: «مذ فارقتني..».

(١٩٢) يُقال: ماراه: ناظره وجادله. ويُقال أيضًا: مارى فلانًا: خالفه وتَلوّى عليه.

(١٩٣) اسم (هند) من الأَسماء التي يُوردها الشعراء كنايةً عن الاسم الحقيقي، ومثله سعاد، وسَلمى، وليلى، وسُعْدى... وقد يُورَدُ لمجرّد الاتّكاء في غرض الغَزل التّقليدي.

(١٩٤) إشْنِيل هو نَهْرُ غَرْنَاطة: Xenil؛ أو: Genil. ويَمُرّ في جنوبي المدينة. وهو رافدٌ من روَافد نهر الوادي الكبير. أمّا غَرْناطة فتقوم على نُهَير حَدَارُو (دَارُو)، وهو رافدٌ من روافد

ما كَانَ إلاّ بارقًا خاطفًا ما زلتُ مُذ فَارقَنِي في ظَلامْ! [١٩٥]
آهٍ مِنَ الوَجْد على فَقْدِهِ ولَيْسَ تُجْدِي (آه) للمُسْتَهامْ[١٩٦]
للهِ يَوْمٌ مِنْهُ لمْ أَنْسَهُ وذِكْرُ ما أَوْلاهُ أَوْلى ذِمَامْ[١٩٧]
إذْ هِنْدُ غُصْنٌ بينَ أغْصَانها كالدَّوْحِ يَثْنِيْهِ هَدِيْلُ الحَمامْ[١٩٨]
يا هندُ! يا هندُ! أَلا عَطْفَةٌ أَمَا لِهذا الصَّرْم حِيْنُ انْصِرام؟![١٩٩]
أتذكرينَ الوَصْلَ لَيْلَ المنى بِمَرْقَبِ العَطْفِ وجَزْعِ الإكام؟[٢٠٠]

شَنِيل (أو إشنيل) ويُقال فيه: سنْجيل.

– وكانوا في الأندلس يقولون: «شنيل ألف نيل». وفي العبارة إشارة إلى أنّ الشّين في حِسَاب الجُمَّل تقابل الرّقم (١٠٠٠) أَلْف. وهكذا ينفكُّ من شنيل: «ألف نيل»؛ افتخارًا منهم ببلادهم ومفاضلةً مع المشرق. قال الأستاذ عنان (وقد مرّ على قوله هذا أكثر من ثلث قرن) إن نهر غرناطة قد فقد مياهه القديمة، وكثيرًا ما يجفّ أو يكاد (قارن بما جرى لبردى نهر دمشق).

نزهة المشتاق (٢٩٧) والإحاطة (١/ ١١٨) قال لسان الدين: وقد ولعت الشعراء بوصف هذا الوادي... والآثار الأندلسية الباقية (١٦١) وآخر أيّام غرناطة (٤١– ٤٢).

(١٩٥) البارق من برق البَرْق: بدا ولمع. (ويُقال في الشّيء بَرَق إذا تلألأ ولَمع).

(١٩٦) لا يُجدي قول: (آه). والمسْتهام: الذي شغفَه الحُبّ. يقال: هام فلان، واستُهِيْمَ فؤادُه.

(١٩٧) الذِّمام: العَهْد، والحُرْمة.

(١٩٨) الدَّوحُ: جمع الدّوحة: الشجرة العظيمة المتشعّبة ذات الفُروع الممتدّة، من شجرٍ ما. وهَدِيل الحَمام: صَوْتُه (والهديل أيضًا: ذكر الحمام الوَحْشِيّ).

(١٩٩) الصَّرْمُ: القطيعة.

(٢٠٠) المرْقَبُ: مَوْضِع المرَاقبة. والجَزْع: مُنعطف الوادي ووسطه. والإكام جمع الأَكَمَة: التلّ.

وإن تذكّرتِ فلا تذكري إلا على سَاعَةِ وادي الحَمامْ!

مُلْحَق

[الملحق ١]

اجْتمَع بغرناطة محمد بن غالب الرُّصافي[٢٠١] الشّاعر المشهور، ومحمد بن عبد الرّحمن الكُتندي الشاعر، وغيرهُما من الفضلاء والرّؤساء، فأَخَذُوا يومًا في أن يَخْرُجوا لِنَجْد أو لِحَوْر مُؤمّل، وهما متنزّهان من أَشْرَفِ وأظْرَفِ مُتَنَزّهاتِ غَرناطة، ليتفرجّوا ويَصْقُلوا الخَواطر بالتطلّع في ظاهِر البلد. وكان الرُّصافي قد أظْهَر الزّهْدَ، وتَركَ الخلاعة؛ فقالوا: ما لنا غنًى عن أبي جعفر بن سعيد؛ اكْتبُوا له؛ فصَنَعُوا هذا الشعر، وكتبوا له وجَعَلُوا تحته أَسماءهم:

[من الطويل]

بَعَثْنا إلى رَبّ السماحَةِ والمجْدِ ومَنْ ما لَهُ في مِلَّة الظَّرْفِ مِنْ نِدّ

(٢٠١) هو الشاعر المشْهُور بالرّصافي البلنسي: أصله من بلنسية واستوطن مالقة واتخذها دار إقامة إلى أن توفي بها سنة (٥٧٣). وكان يعمل رفّاءً. وله ديوان شعر جمعه د. إحسان عَبّاس من الباقي من شعره. (انظر الطبعة الأولى، والثانية).

أدباء مالقة (٦٨)، والمقتضب من تحفة القادم (٧٥)، والإحاطة (٢/ ٥٠٥)، والتكملة لابن الأبار (٢/ ٥٢٠)، والمعجب (٢٨٦)، ووفيات الأعيان (٤/ ٤٣٢) ورايات المبرّزين: (٢١١) وبغية الملتمس (١١٩) ونفح الطيب (٤/ ١٥٩) وشذرات الذهب (٤/ ٢٤١) وجذوة الاقتباس (١/ ٢٦٦).

– والرّصافة المنسوب إليها هي رُصَافة بلنسية. وهناك مواضع أُخرى سميّت بهذا الاسم في الأندلس، وأشهرها رصافة قُرطبة، وهي أَوّل موضع أُطلق عليه اسم الرصافة في الأندلس، (أيام عبد الرحمن الدّاخل).

[سبق للباحث الفاضل التعريف بالرصافي البلنسي في القطعة رقم (١٢)]/ المجلة.

لِيُسْعِدَنا عند الصَّبيحةِ في غَدٍ لِنَسْعى إلى الحَوْرِ المؤَمَّل أو نَجْدِ
نسرّحُ منّا أنْفُسًا من شجُونها ثوَتْ في شجونٍ هُنّ شرٌّ من اللحدِ
ونظفرُ من بُخْلِ الزّمانِ بساعةٍ ألذَّ من العَلْيا، وأشهى من الخَمْدِ
على جَدْوَلٍ ما بينَ أَلفافِ دوحةٍ تهزُّ الصَّبا فيها لواءً من الرَّنْدِ
ومن كان ذا شرب يُخلّى بشأنهِ ومَنْ كان ذا زُهْدٍ تركناهُ للزّهدِ
وما ظَرْفُهُ يأبى الحديثَ على الطّلا ولا أَن يُدِيلَ الهزل حينًا من الجِدّ
تهزّ معَاني الشّعر أغصانَ ظَرْفِهِ ويَمْرَحُ في ثوبِ الصَّبابَةِ والوجْدِ
وما نَغَّصَ العيشَ المهنّأ غَيْرُ أنْ يمازِجَهُ تكليفُ ماليسَ بالوُدِّ
نظَمْنا من الخِلاّن عِقْدَ فرائدٍ ولما نَجِدْ إلاّكَ واسطة العِقْدِ[٢٠٢]
فماذا تراهُ لاعدمناك ساعةً فنحنُ بما تبديهِ في جَنّةَ الخُلْدِ
ورُشدك مطلوبٌ وأَمْرُكَ نحوه ارْ.. . ..تقابٌ وكلٌّ منك يَهْدِي إلى الرّشْدِ!

وقد أجابهم الرُّصافي البلنسي بقصيدة أوّلها[٢٠٣]:

هو القولُ منظومًا أو الدرُّ في العقدِ هو الزّهرُ نَفّاح الصّبا أم شذا الوُدّ

وهي في سَبْعَة عشر بيتًا... قال في النّفح بعد الشعر: فركبوا إلى جَنّته، فمرّ لهم أحْسَنُ يومٍ على ما اشْتَهَوْا. وما زالُوا بالرُّصافي إلى أن شرِبَ لما غلبَ عليه الطّرَب، فقال الكُتندي:

غلبناك عمّا رُمْتَهُ يا ابْنَ غَالبٍ بِرَاحٍ ورَيْحَانٍ وشَدْوٍ وكاعِبِ

فقال أبو جعفر:

(٢٠٢) كذا فيه: ولما نجد.

(٢٠٣) نفح الطيب (٣/ ٥١٤).

بَدا زُهْدُهُ مثل الخضابِ فلم يَزَلْ بِهِ ناصِلاً حتّى بدَا زُوْر كاذِبِ! [٢٠٤]

وللخبر تتمّة.

[الملحق ٢]

وقال أبو جعفر بن سعيد[٢٠٥] «في يوم اجتمع فيه مع الرّصافي[٢٠٦] والكتندي على راحةٍ ومسمع بِجَنْك[٢٠٧]: [من الكامل المجزوء]

للهِ يومُ مَسَرَّةٍ أَضْوَا وأَقْصَرُ من ذُبَالَهْ [٢٠٨]

لما نَصَبْنا للمُنى فيهِ بأَوتارٍ حِبَالَهْ [٢٠٩]

طارَ النَّهارُ بهِ كَمُرْ... .. تاعٍ وأَجْفَلَتِ الغَزالَهْ! [٢١٠]

المصادر والمراجع

– الآثار الأندلسية الباقية – محمد عبد الله عنان – مكتبة الخانجي – القاهرة.

(٢٠٤) نَصل اللون: زال.

– يصح في «زور» الرّفع على أنّها فاعل لـ «بدا»؛ والنّصب على الحاليّة. ويكون الفاعل ضميرًا.

وقد أوردنا بيت الكتندي المفرد في موضعه من المجْموع الشعري الخاصّ به: برقم [٢].

(٢٠٥) المغرب (٢/ ١٦٧).

(٢٠٦) هو الرصافي البلنسي وله ذكر في البحث وحواشي المجموع الشعري.

(٢٠٧) الجَنْك: العود (الذي يُعْزَف عليه): انظر تكملة المعاجم العربية – دوزي – نقله إلى العربية محمد سليم النّعيمي (٢/ ٢١٣).

(٢٠٨) «أَضوا» مسهلة الهمزة: أشدّ ضياءً. والذّبالة: الفتيلة التي تُسْرَجُ: تكون في السِّراج فَتُغمر بالزّيت وتُوقد للاستصباح.

(٢٠٩) الحِبَالةُ والأُحْبُول: المصيدة.

(٢١٠) في البيت تورية. النَّهار: اسم يُطلق على بعض الطّير فقيل هو فَرْخُ القطا، وذَكَرُ الحُبَارى، وولد الكرَوان... (اللّسان: ن و ر) والغزالة: مؤنث الغزال ولد الظبية. والتّورية بالنهار (قسيم الليل) والغزالة اسم للشمس عند طلوعها. و: أَجْفل: مضى وأَسْرَع.

- آخر أيام غرناطة = نبذة العصر.
- الإحاطة في أخبار غرناطة – لسان الدين بن الخطيب – تحقيق محمّد عبد الله عنان – دار الخانجي – القاهرة.
- أدباء مالقة (لابن عسكر وابن خميس) تحقيق د. صلاح جرار – مؤسسة الرسالة ١٤١٩- ١٩٩٩ بيروت، ودار البشير – عمّان.
- أعلام مالقة (لابن عسكر وابن خميس) تحقيق د. عبد الله المرابطي التّرغي - دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨.
- أعمال الأعلام – لسان الدين بن الخطيب – حققه ليفي بروفنسال – دار المكشوف – بيروت.
- البديع في وصف الرّبيع للحميري الأندلسي – تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان – دار الهُدى – ١٩٨٧ – جدّة.
- برنامج شيوخ الرعيني – للرعيني الأندلسي – تحقيق إبراهيم شبوح – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس – الضبيّ – طبعة مجريط ١٨٨٤.
- بغية الوعاة للسيوطي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة عيسى البابي الحلبي مصر ١٣٨٤ – ١٩٦٤.
- ابن خفاجة – محمد رضوان الداية – الطبعة الثانية – دار قتيبة – دمشق ١٤٠٢- ١٩٨٢.
- تاج العروس من جواهر القاموس – المرْتضى الزّبيدي – المطبعة الخيريّة – مصر ١٣٠٧/ وطبعة الكويت.
- تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطّوائف والمرابطين – د. إحسان عباس – دار الثقافة- بيروت.
- تاريخ الأدب العربي – د. عمر فرّوخ – دار العلم للملايين – بيروت – ط١.
- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس – د. حسين مؤنس ٠ معهد الدراسات

الإسلامية – مدريد ١٣٨٦ – ١٩٦٧.
– ترصيع الأخبار للعذري الدلائي – تحقيق د. عبد العزيز الأهواني – نشر المعهد المصري –.
– التكملة لابن الأبار – ط مصر – جزآن – نشر عزة العطار الحسيني.
– جذوة الاقتباس لأحمد بن محمد (ابن القاضي) دار المنصور للطباعة – الرباط ١٩٧٤.
– الحلة السيراء – ابن الأبار – تحقيق د. حسين مؤنس – الشركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة: ١٩٦٣.
– الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور – زينب فواز – مصورة بدار المعرفة بيروت ١٩٩٠.
– دلائل النبوة للبيهقي – تحقيق عبد المعطي قلعه جي – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٥.
– الحلة السيراء لابن الأبار – تحقيق د. حسين مؤنس – الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٣.
– ديوان ابن خفاجة – تحقيق د. سيّد مصطفى غازي – منشأة الإسكندرية ١٩٦٠.
– ديوان الرّصافي البلنسي – جمعه وحققه د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – ط١ .
– الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة – لابن عبد الملك المرّاكشي – الجزء السادس خاصّة – دار الثقافة – بيروت.
– رايات المبرّزين وغايات المميّزين – لابن سعيد – تحقيق محمّد رضوان الدَّاية – دار طلاس – دمشق – ط١.
– رحلة الأندلس– د. حسين مؤنس – مطبعة كوستاتوماتس – القاهرة – ١٩٦٤.
– رفع الحُجُب المستورة عن محاسن المقصورة – الشريف الغرناطي – تحقيق د. محمد الحجوي – وزارة الأوقاف – الرباط – ١٩٩٧.
– الرّوض المعطار في خبر الأقطار – الحميري الغرناطي – تحقيق الدكتور إحسان عباس

– بيروت – ط١.
– زاد المسافر وغُرّة محيّا الأدب السافر – صوان بن إدريس – تحقيق عبد القادر محداد – بيروت ١٩٣٩ .
– شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب لابن العماد الحنبلي – مكتبة القدسي – القاهرة – ١٣٥٠ – ١٣٥١ .
– الشعر الأندلسي في عصر الموحّدين. د. فوزي سعد عيسى – الإسكندريّة – دار المعرفة الجامعيّة.
– عصر الدول والإمارات – د. شوقي ضيف – دار المعارف – مصر (قسم الأندلس).
– عصر الطوائف والمرابطين – محمد عبد الله عنان – مكتبة الخانجي – القاهرة .
– في الأدب الأندلسي – محمد رضوان الداية – دار الفكر – دمشق – ط٢ .
– الكامل في التاريخ لابن الأثير – دار صادر ودار بيروت – لبنان – ١٣٨٦ – ١٩٦٦.
– مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع – ياقوت الحموي – حققه علي البجاوي – نشرة دار المعرفة لبنان (مصوّرة).
– مشاهدات لسان الدين بن الخطيب – تحقيق د. العبّادي – جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨.
– المطرب من أشعار أهل المغرب – ابن دحية – حققه إبراهيم الإبياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي – المطبعة الأميرية بالقاهرة – ١٩٥٤.
– المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب – المراكشي – تحقيق محمد سعيد العريان – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة ١٩٦٣.
– معجم الأدباء (إرشاد الأريب..) ياقوت الحموي – طبعة دار المأمون – القاهرة.
– معجم البلدان – ياقوت الحموي – دار صادر – بيروت.
– المغرب في حُلى المغرب – ابن سعيد – تحقيق د. شوقي ضيف – دار المعارف القاهرة – ط٢.

- المقتضب من تحفة القادم – ابن الأبّار – تحقيق إبراهيم الإبياري – وزارة التربية بالقاهرة ١٩٥٧.
- الموسوعة في عُلوم الطبيعة – تأليف إدوار غالب– المطبعة الكاثوليكية – بيروت – ١٩٦٥.
- نبذة العصر من أخبار ملوك بني نصر (آخر أيام غرناطة) تحقيق محمد رضوان الداية – دار الفكر .
- نزهة الجلساء (ديوان الخمساء – المطبعة الكاثوليكية – بيروت .
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – الشريف الإدريسي – طبعة عالم الكتب – بيروت ١٤٠٩- ١٩٨٩.
- نفح الطيب – المقّري – تحقيق د. إحسان عبّاس – دار صادر – بيروت .
- الوافي بالوفيات – الصّفدي (الجزء الثالث) باعتناء ديدرنغ – فسبادن – ١٤٠١ – ١٩٨١.
- وفيات الأعيان – ابن خلّكان – تحقيق . د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت.

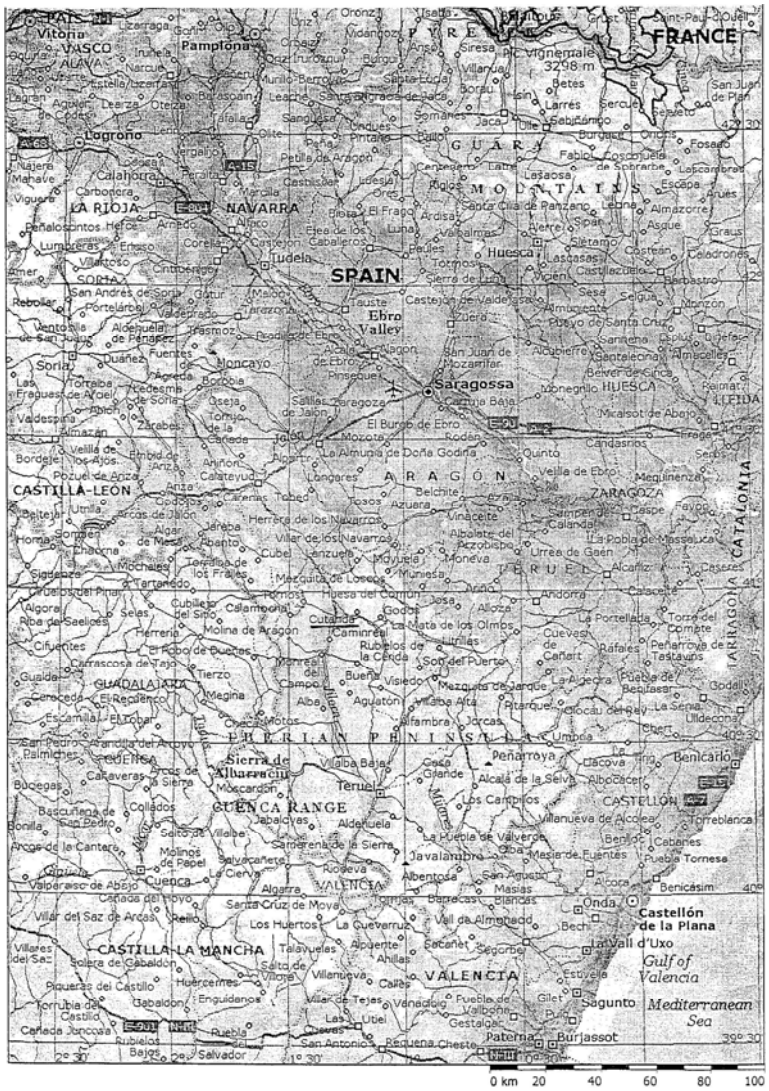
FRANCE
SPAIN
PAIS VASCO
NAVARRA
LA RIOJA
ARAGÓN
CASTILLA-LEON
CASTILLA-LA MANCHA
VALENCIA
CATALONIA
Ebro Valley
Pyrenees
Pamplona
Vitoria
Logroño
Tudela
Huesca
Saragossa
Teruel
Cuenca
Castellón de la Plana
Gulf of Valencia
Mediterranean Sea
0 km 20 40 60 80 100
Arag?n
Spain
Microsoft ® Encarta ® Premium Suite 2005. © 1993-2004 Microsoft Corporation. All rights reserved.